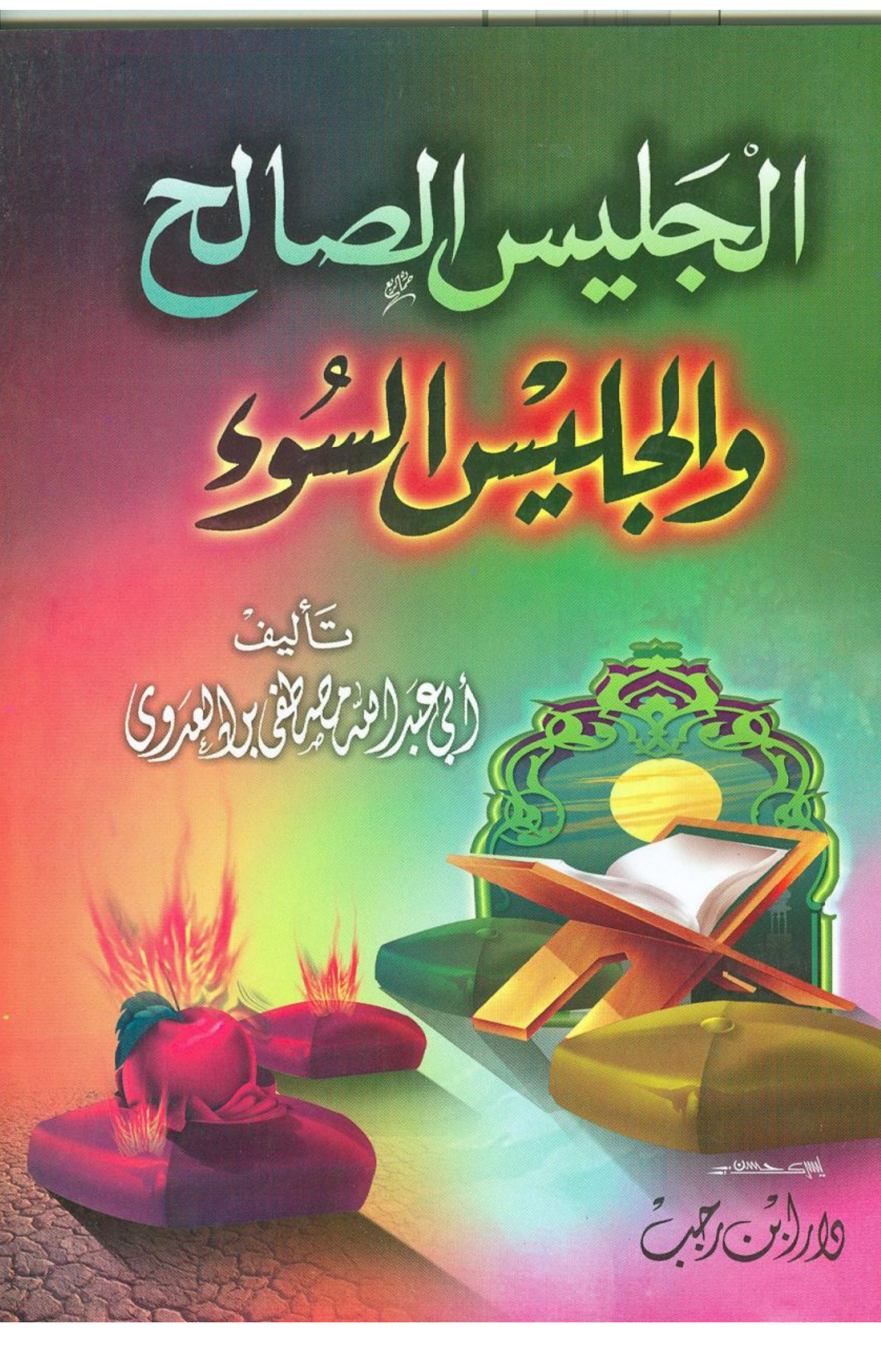


الجليس الصالح
والجليس السوء
تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي
دار ابن رجب

الجليس الصالح والجليس السوء

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

دار ابن رجب



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فنحن كمسلمين عبيدٌ لله سبحانه وتعالىٰ قد جمعنا بين الإسلام الذي من أجلِّ معانيه الاستسلام والانقياد لله عز وجل، وبين العبودية التي من أسمىٰ معانيها الذل والخضوع والطاعة والمحبة لله سبحانه وتعالىٰ.

ولأنَّنا كمسلمين رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، ورضينا بعبوديتنا له سبحانه وتعالىٰ، بل وتشرفنا بها ونحمد الله علىٰ ذلك فلا يسعنا من ثَمَّ أن نفعلَ ما شئنا، ولا نتكلم كيف شئنا، ولا ننطلق كيف شئنا

ولا نفكر كيف شئنا، ولا نجالس من شئنا، ولا نجلس حيث شئنا؛ بل نجلس كما أمرنا الله أن نجلس، وحيث أمرنا الله أن نجلس، ومع الذين أُمرنا بمجالستهم.

ونتكلم كما أمرنا الله أن نتكلم وحيث أمرنا الله أن نتكلم، ونتقي من الكلام ما نهانا عنه ربنا سبحانه وتعالىٰ، ونفكر كما أراد الله لنا أن نفكر، وننظر إلىٰ حيث أمرنا الله أن ننظر، ونسمع ما أمرنا الله بالاستماع إليه، ونهجر ما أمرنا الله بهجرانه. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

فلا نخطو خطوة، ولا نتقدم برأي، ولا نتلفظ بقول، ولا ننظر بعينٍ ولا نستمع بأذنٍ، وإذا أمرنا فسمعاً وطاعة لله رب العالمين، وإذا نهينا فنحن من المنتهين المُنكفين، إلىٰ غير ذلك من مقتضيات الإسلام ومستلزمات العبودية.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠، ٢١].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جداً، وهذا من أصول ديننا.

ومن ثمَّ فإنّا كما قدمنا ـ لا نُجالس من أردنا ومن أحببنا بل نجالس من أمرنا الله بمجالسته، ونعتزل من أمرنا الله عزَّ وجل باعتزاله، ونهجر من أمرنا الله بهجرانه، ونقبل علىٰ من أمرنا الله بالإقبال عليه، وفي ذلك عزٌّ لنا وشرفٌ، وكلما ازداد المرء طاعة لله وامتثالاً لأمره كان كريمًا علىٰ الله عزَّ وجل، ولهذا وصفت الملائكة ـ لكونهم أطوع الخلق، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ـ بأنهم عباد مكرمون.

هذا، وقد قال الله تبارك وتعالىٰ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] فمن ثمَّ قد بين الله لنا من نجالس وأين نجلس، ومن نعتزل ومن نهجر في نصوصٍ واضحات جليات، وآيات بيناتٍ محكمات.

وذلك لما للجليس من تأثير وأثرٍ في الدنيا والآخرة.

فكم من شقيٍّ كانت شقاوته بسبب جليس سيِّءٍ جالسه وكم من غويٍّ غوايته كانت بسبب شرير أرداه وأهلكه بسيِّء صحبته.

فإذا ذهبت إلىٰ السجون ونظرت في أمر أهلها وأصحابها وسألتهم عن سبب سجنهم فتجد أكثرهم قد ولجوها ودخلوها وارتكبوا ما ارتكبوه من جرائم وآثام بسبب جلساء سوءٍ تسببوا لهم فيما هم فيه.

وفي الآخرة كذلك كم من شخصٍ قد شقي بالجحيم التي لا يموت فيها ولا يحيا بسبب جليس سوء.

فكم من شخص كاد أن يسلم ويستقيم، ولكن خذَّله المخَذِّلون وأرداه المفسدون فكان من أصحاب الجحيم.

وفي المقابل كم من شخصٍ قد أسعده الله وأورثه أعالي الجنان وغُفر له ذُنوبه وسُترت عليه عيوبُه بسبب مجالسته للصالحين.

وكم من شخصٍ قد انتُشل من ظلمات الغيِّ وحُفظ وعُصم ووسع عليه في الرزق بسبب مجالسته للصالحين.

فلهذا كتبتُ هذه الوريقات مُذكراً نفسي وإخواني بأمر الله في شأن الجلساء والمجالس، ومبيناً بعض الوارد عن رسول الله ﷺ في ذلك.

سائلاً الله عز وجل أن ينفعني به وإخواني المسلمين وأن يهدينا سواء السبيل ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين وأن يتوفنا مع الأبرار، وأن يحشرنا ويجمعنا بالذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

منية سمنود ـ أجا ـ دقهلية

تأثير الجليس

لا شك أن الجُلساء يؤثِّر بعضهم في بعض، ويقتبس بعضهم من خصال بعض، ويعملُ بعضهم كعمل بعض إلا من رحم الله تعالىٰ.

وهذا المذكور يَقْوَىٰ في كثيرٍ من الأحيان إذا كان من الجُلساء من هو أرفعُ رتبةً أو أعلىٰ قدرًا أو أكبرُ سنًّا إلىٰ غير ذلك من الأمور التي يمتاز بها بعض الناس علىٰ بعض، ويتفوق بها بعضهم علىٰ بعض.

وقد ورد في النصوص ما يؤكد تأثر الجليس بجليسه.

ففي «الصحيحين» من حديث أبي موسىٰ عن النبي ﷺ قال: **«إنما مثلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ كحاملِ المسك ونافخِ الكيرِ، فحاملُ المسك إما أنْ يُحذيكَ[١] وإما أنْ تبتاعَ منه وإما أنْ تجدَ منه ريحًا طيبةً، ونافخُ الكيرِ إما أن يحرقَ ثيابكَ وإما أن تجدَ ريحًا خبيثةً»**[٢].

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[٣]: وفي الحديث النهي عن مجالسة من يُتأذىٰ بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة

---

(١) يُحذيك: أي يعطيك.

(٢) البخاري (حديث ٥٥٣٤)، ومسلم مع النووي (١٦ / ١٧٨).

(٣) فتح الباري (٤ / ٣٢٤).

من يُنتفع بمجالسته فيهما .

وقد ورد في هذا الباب - باب تأثر الجليس بجليسه - حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**الرجلُ علَى دينِ خليله فلينظرْ أحدكمْ من يخاللْ**»[١] وفي سنده ضعف قريب[٢]، وقد حسنه بعض أهل العلم[٣] .

قال المباركفوري رحمه الله[٤] : فمن رضي دينه وخلقه خَالِلْه ، ومن لا تَجَنَّبْهُ ؛ فإن الطباع سرَّاقة والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده ، قال الغزالي : مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص ، ومجالسة الزاهد ومخاللته تزهد في الدنيا ؛ لأن الطباع مجْبُولة على التشبه والاقتداء بالطبع من حيث لا يدري .

والقرشيون كانوا قومًا يغلبون نساءهم فلما قدموا المدينة وجدوا الأنصار قومًا تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساء القرشيين يأخذن من أدب نساء الأنصار ، ويراجعن أزواجهن في الحديث والخطاب كما تراجع نساء الأنصار أزواجهن وها هو الحديث بذلك :

أخرج البخاري[٥] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما - قال : لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) ، وأحمد (٨٠٢٨) والترمذي (٢٣٧٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (١٤٢٩) .

(٢) في سنده موسى بن وردان ، وزهير بن محمد ، وفي كل منهما مقال .

(٣) منهم الترمذي ، وقد أورده الشيخ ناصر « في السلسلة الصحيحة» (٩٢٧) .

(٤) «تحفة الأحوذي» (٧/ ٤٩) .

(٥) البخاري (حديث ٥١٩١) .

قال الله تعالىٰ ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ . . . فذكر الحديث وفيه قول عمر : وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا علىٰ الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار(١) فصخبت(٢) علي امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني ، قالت : ولم تُنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليُراجعنه . . . الحديث .

وقد قال تعالىٰ : ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [التوبة : ٩٧] .

فترىٰ أن الأعراب أشدُّ كفراً ونفاقًا من مَن؟!

قال بعض العلماء : الأعراب أشدُّ كُفراً ونفاقًا من كفار أهل المدينة ومنافقي أهل المدينة .

فالأعرابي الكافر أشدُّ كُفراً من المدني الكافر .

والأعرابي المنافق أشدُّ نفاقًا من المدني المنافق .

وذلك علىٰ ما ذكره بعض العلماء ؛ لأن الأعرابي جمع بين الجفوة والغلظة - فمن بدا جفا - والجهل أيضًا .

أما كفار المدينة ومنافقوها - في الغالب - فلمجالستهم رسول الله ﷺ وأصحاب رسول الله ﷺ ، اقتبسوا - في الظاهر - من أخلاقهم وعاداتهم .

فنرىٰ مثلاً النصراني الذي يسكن بلاداً من بلاد العرب ليس كالنصراني الذي يسكن روسيا .

فالأول يستحيي إذا قيل له : ابنتك تزني ، أما الآخر فلكون من حوله

---

(١) أي من سيرتهن وطريقتهن .

(٢) الصخب : الزجر من الغضب .

كلهم يزنون فلا يبالي بزنا ابنته من عدمه، ولا بخبثها من عفافها.

وليس الجليس من الناس فحسب هو الذي يؤثر؛ بل مجالسة حتى الحيوان تؤثر قال النبي ﷺ(١): «**رأسُ الكفرِ نحوَ المشرق، والفخر والخيلاء في أهلِ الخيلِ والإبلِ والفدَّادينَ أهل الوبرِ، والسكينةُ في أَهلِ الغنمِ**».

فالناقة لما كانت تمشي رافعة رأسها إلى أعلى أورث ذلك ـ والله أعلم ـ من يجالسونها كبراً وعجباً.

والشاة لكونها ساكنة أورثت أهلها سكونًا وتواضعًا بإذن الله، ومن ثمَّ قال النبي ﷺ: «**ما بعثَ الله نُبيًا إلا رَعَى الغنمَ**»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعمْ كنتُ أرعاها على قراريطَ لأهل مكةَ**»(٢).

وقد صح(٣) عن أمير المؤمنين عمر أنه ركب برذَونًا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً فنزل عنه، وقال: ما حملتموني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي، فَلِرُكُوب البِرْذَوْن وتبختر البرذون براكبه أثر في نفس راكِبه فتركه أمير المؤمنين عمر، وليس تركُ أمير المؤمنين عمر لركوبه من باب التحريم، فحاشا أمير المؤمنين أن يحرم شيئًا أحله الله، فالله يقول: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً** ﴾ [النحل: ٨].

ولكن لما كان لهذا التبختر من البرذون أثرٌ في قلب أمير المؤمنين عمر ترك أمير المؤمنين عمر هذا البرذون ونزل عنه!!

وقد ذكر بعض أهل العلم في تفسير قول الله عزَّ وجل ﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه الطبري (١ / ٧٦) وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣ / ٨٢٢، ٨٢٣) وانظر ابن كثير في «التفسير» (١ / ١٧).

بالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] ما حاصله أن كثرة الاستماع إلىٰ السيِّءِ من القول يهونه علىٰ سامعيه، فإذا سمعت - علىٰ سبيل المثال - أن شخصًا ما قد زنىٰ، والعياذ بالله فإنك تستبشع ذلك وتستقذره، ثم بكثرة طرق ذلك علىٰ مسامعك تعتاد سمعه ويقل منك إنكاره حتىٰ إنه ليكاد في قلوب بعض الناس -أن يتلاشىٰ ولم تعد قلوبهم تستنكره كبير استنكار، بل يصفون الذي وقع في الفاحشة والتي وقعت فيها بلفظ يُهَوِّن منه كقولهم أخطأ فلان، وأخطأت فلانه.

فإذا سمعت بعد ذلك عن شخصٍ زنىٰ بمحرمٍ من محارمه ازداد استبشاع ذلك جداً، فإذا كرر علىٰ سمعك كل يوم أن من الناس من يزني بمحارمه قلَّ استنكارك أيضًا ثم يقلُّ بعد ذلك ويقل.

ثم إذا سمعت عن شخصٍ زنىٰ بامرأةٍ في وسط الطريق فإنك لم تكد تتصور هذا، ثم إذا تكرر هذا علىٰ مسامعك قلَّ إنكارُك له كالذي يحدث في بلاد أوربا الكافرة والعياذ بالله.

ففي حديث عبد الله بن عمرو[1] قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تقومُ الساعةُ حتى يتسافدُوا**[2] **في الطريقِ تسافد الحميرِ**» قلت: إنَّ ذلك لكائن؟ قال: «**نعم، ليكونن**».

وعند أبي يعلىٰ الموصلي باسنادٍ حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا تفنى هذه الأمةُ حتى يقومَ إلى المرأة فيفترشها في الطريقِ، فيكونَ خيارهُم يومئذٍ من يَقولُ: لو واريتهَا وراءَ هذا الحائط**»[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان (موارد ١٨٨٩) بسند صحيح.

(٢) السفاد: نزو الذكر علىٰ الأنثىٰ.

(٣) أبو يعلىٰ (١١ / ٤٣).

فكل هذه الاستهانات بحدود الله منشؤها مجالسة الفساق وكثرة الاستماع لهذه المصائب والبلايا لأن الفساق كثيراً ما يروجون لذلك ويزينونه، ويذكرون به، وليس الأمر في الزنا فحسب، بل وفي سائر الأمور أيضًا، فالشخص يكره شارب الخمر؟ إلا أنه إذا تكرر على مسامعه أن فلانًا قد شرب الخمر، وفلانًا قد شرب الخمر، وفلانًا وفلانًا، فمن ثمَّ تقل كراهيته لشارب الخمر شيئًا فشيئًا.

والمحفوظ من حفظه الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**ما بعثَ الله منْ نبيٍّ ولا استخلفَ من خليفة إلا كانتْ له بطانتان**[1]**: بطانةٌ تأمرهُ بالمعروف وتحضُّهُ عليه، وبطانةٌ تأمرهُ بالشرِّ وتحضُّهُ عليه فالمعصومُ من عصمَ الله تعالى**»[2].

ومن صور تأثر الجليس بجليسه:

تأثر عبد الرزاق بن همام الصنعاني الإمام العالم بمجالسة جعفر بن سليمان فأورثه جعفر شيئًا من التشيع[3]:

ففي ترجمة جعفر بن سليمان من «تهذيب الكمال»: وقال جعفر ابن محمد بن أبي عثمان الطيالسي: عن يحيي بن معين: سمعت من عبد الرزاق كلامًا يومًا فاستدللت به على ما ذُكر عنه من المذهب[4]، فقلت له: إن أُستاذيك الذين أخذت عنهم ثقات، كلهم أصحاب سُنَّة: معمر، ومالك بن أنس

---

(١) البطانة: من يطَّلع على باطن حال الرجل ويعرف أسراره.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) وانظر إن شئت للوقوف على ما نسب إليه عبد الرزاق من التشيع ترجمة عبدالرزاق في «سير أعلام النبلاء».

(٤) يعني المذهب الشيعي.

وابن جُريج، وسفيان الثوري، والأوزاعي، فعمن أخذت هذا المذهب؟ فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان الضُّبَعيُّ فرأيته فاضلاً حسن الهَدْي، فأخذت هذا عنه.

وتأثر عمران بن حطان بزوجته الحسناء:

فعمران بن حطان من التابعين كان رجلاً من أهل السُّنَّةِ وعلى خيرٍ وصلاح، ولكن ماذا حدث له؟؟!

تزوج ابنة عم له على مذهب الخوارج - وكانت حسناء - وطمع في هدايتها فهدته هي إلى طريق الخوارج المذموم السقيم وطفق يطعن في أمير المؤمنين عليٍّ - رضي الله عنه -، بل ويثني على قاتله عبد الرحمن بن مُلجم غاية الثناء فينشدُ في شأن ابن ملجم قاتل عليٍّ أبياتًا ذكرها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» وفيها

يا ضَرْبَةً مِنْ تقيٍّ ما أردا بها … إلا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوانا

إنِّي لأذكُرُهُ حينًا فأحْسَبُهُ … أوْفَى البريَّة عِنْدَ الله ميزانا

أكْرِمْ بِقَومٍ بُطُونُ الطيرِ قبْرُهُم … لم يخْلِطُوا دِينهم بَغْيًا وعُدْوانا

قال الذهبي: فبلغ شعْرُه عبد الملك بن مروان، فأدركَتْهُ حميَّةٌ لقرابته من عليٍّ - رضي الله عنه - فنذر دمه ووضع عليه العُيون. فلمْ تحْمِلْهُ أرْض، فاستجار بروْح بن زِنْباع، فأقام في ضيافته، فقال: ممن أنت؟ قال: من الأزْد. فبقي عندَهُ سنةً فأعجبَهُ إعجابًا شديدًا، فسَمَرَ روْح ليلةً عند أمير المؤمنين، فتذاكرا شعْر عمران هذا. فلما انصرف رَوْح، تحدَّث مع عِمْران بما جرى، فأنشده بقيَّة القصيدة، فلمَّا عاد إلى عبد الملك قال: إنَّ في ضيافتي رجلاً ما سمعتُ مِنْهُ حديثًا قطُّ إلا وحدَّثني به وبأحسن مِنْه، ولقد أنشدني

تلك القصيدة كلَّها.

قال: صِفْهُ لي، فوصفَهُ له. قال: إنَّك لتصِفُ عِمْران بنَ حطَّان، اعْرِض عليه أنْ يلقاني. قال: فهرب إلىٰ الجزيرة، ثم لحِقَ بعمان فأكرمُوه.

وقد تأثر عمران هذا أيضًا بابن مُلجم قاتل عليٍّ كما ذكر بعض العلماء؛ لرؤيته ابن مُلجم علىٰ ثبات في مبدئه وإن كان باطلاً.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

ولما أراد أولاد علي -رضي الله عنه- أن يتشفوا منه فقطعت يداه ورجلاه لم يجزع، ولا فتر عن الذكر ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله، وقرأ سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلىٰ آخرها. وإن عينيه لتسيلان علىٰ خديه.

ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعًا شديدًا، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أخاف أن أمكث فواقًا لا أذكر الله. اهـ. ذكره ابن كثير وغيره.

ولأجل هذا قال عمران بن حطان السدوسي يمدح ابن ملجم -قبحه الله- في قتله أمير المؤمنين عليًّا -رضي الله عنه-:

يا ضربةً من تقيٍّ مَا أراد بها ... إلا ليبلغَ مِنْ ذي العرشِ رضْوَانَا
إنِّي لأذكُرُهُ يومًا فأَحْسَبُهُ ... أوْفَى البريَّة عندَ اللَّه ميزَانَا

وجزىٰ الله خيراً الشاعر الذي يقول في الرد عليه:

قُلْ لابنِ ملجَمَ والأَقْدَارُ غَالبَةٌ ... هَدَّمت وَيْلَكَ للإسْلام أَرْكَانَا
قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ... وَأَوَّلَ النَّاس إسْلامًا وَإيمَانا
وأَعْلَمَ النَّاسِ بالقُرآنِ ثُمَّ بما ... سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرعًا وتبْيَانَا

صِهْرُ النَّبِيِّ وَمَوْلاهُ وَنَاصِرُهُ — أَضْحَتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وبُرْهَانَا
وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الحَسُودِ لَهُ — مَكَانَ هارُونَ مِنْ مُوسَى بْنَ عِمْرانَا
ذَكَرتُ قَاتِله وَالدَّمعُ مُنْحدِرٌ — فَقُلْتُ: سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ سُبْحَانَا
إِنِّي لأَحْسبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ — يَخْشَى المَعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانَا
أَشْقَى مُرَادَ إذا عُدَّت قَبَائِلُها — وَأَخْسَرُ النَّاس عند اللَّه مِيزَانَا
كَعَاقِر النَّاقَةِ الأُولَى الَّتي جَلَبَتْ — عَلَى ثَمُودَ بأَرْضِ الحِجْرِ خُسْرَانَا
قَدْ كَانَ يُخْبِرهُم أَنْ سَوْفَ يَخْضِبُها — قَبْلَ المَنِيَّةِ أَزْمَانًا فَأَزْمَانَا
فَلا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ مَا تحمَّلَهُ — وَلا سَقَى قَبْرَ عِمْرَانَ بن حطّانَا
لقَوْله فِي شَقِيٍّ ظَلَّ مُجْتَرِمًا — وَنَالَهُ مَا نَاله ظُلْمًا وَعُدْوَانَا
يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا — إلا ليَبْلُغَ مِنْ ذي العَرْشِ رِضْوَانَا»
بَلْ ضَرْبَةً مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظَى — فَسَوْفَ يَلْقَى بِهَا الرَّحمنَ غَضْبَانَا
كَأَنَّه لَمْ يَرِدْ قَصْدًا بِضَرْبَتِهِ — إلا لِيَصْلَى عَذَابَ الخُلْدِ نِيرَانَا

ألا فليحذر الذين يتزوجون نسوة لحسنهن متغاضين عن سلامة دينهن وحُسن سِيَرهن.

وقد تأثر الصحابة أيما تأثر بوجود رسول الله ﷺ بينهم وتلاوته القرآن عليهم، فتأثروا بالرسول ﷺ وتأثروا بالقرآن أيما تأثرٍ.

ولما كان النبي ﷺ خير رسول، والكتاب الذي نزل عليه خير كتاب، فمن ثم فإن أمته خير الأمم، وأصحابه خير الناس.

وكانوا رضوان الله عليهم إذا جالسوه وكأن على رءوسهم الطير.

فإذا عافسوا الأزواج والأولاد فاتهم شيءٌ من ذلك، ففي «صحيح

مسلم»[1] من حديث حنظلة الأُسيد (وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ) قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة! قال قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة. حتىٰ كأنا رأي عين[2]. فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا[3] الأزواج والأولاد والضيعات[4]. فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله! إنا لنلقىٰ مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر، حتىٰ دخلنا علىٰ رسول الله ﷺ. قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قُلتُ: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة. حتىٰ كأنَّا رأي عينٍ. فإذا خرجنا من عندك. عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده! إنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكر، لصافحتكُم الملائكةُ علَى فرشكُمْ وَفِي طرقكمْ ولكنْ يا حَنظَلةُ ساعَةً وساعةً»** ثلاث مرات.

ولتأثر الجليس بجليسه:

قد طلب موسى عليه السلام من ربه عزَّ وجل أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين الذي ضعف إيمانهم، وقلَّ يقينهم بنصر الله، وعصوا رسول ربهم فلما طلب منهم موسىٰ دخول الأرض المقدسة وأبوا عليه وتمردوا علىٰ أمره بقولهم ﴿**يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: ٢٤] قال موسىٰ: ﴿**رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٥].

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٥٠).

(٢) أي كأننا نراها بأعيننا.

(٣) عالجنا معايشنا وحظوظنا.

(٤) الضيعات: جمع ضيعة، وهي معاش الرجل من مال أو حرفةٍ أو صناعة.

وأيضًا فقد اعتزل الخليل إبراهيم عليه السلام مجالس قومه: وقال لهم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨] وقال أيضًا ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] فأكرمه الله وكافأه أحسن مكافأة وجزاه أحسن جزاء كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠].

وهكذا من يترك مجالسة الأشرار ابتغاء وجه الله يكرمه الله عزَّ وجل ومن ترك شيئًا اتقاء الله عز وجل عوضه الله خيراً منه.

ونرىٰ نصيحة الفقيه العالم لمن قتل مائة نفسٍ بمفارقة أرضه أرض السوء والانطلاق إلىٰ أرض بها قومٌ من أهل الصلاح يعبدون الله فيعبد الله معهم وهذا مخرجٌ عظيم من أعظم المخارج من الفتن، وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم (واللفظ لمسلم) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**كانَ فيمنْ كان قبلكمْ رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ نفسًا. فسألَ عنْ أعلم أهلِ الأرضِ فدُلَّ على راهب. فأتاهُ فَقَالَ: إنهُ قتلَ تسعةً وتسعينَ نفسًا. فهلْ له من توبة؟ فقالَ: لا. فقتلهُ. فكملَ به مائةً ثمَّ سألَ عنْ أعلم أهلِ الأرضِ فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ. فقالَ: إنه قتل مائةَ نفسٍ. فهل لهُ من توبة؟ فقالَ: نعمْ. ومنْ يَحولُ بينهُ وبينَ التوبة؟ انطلقْ إلى أرضِ كذَا وكذَا. فإنَّ بهَا أُناسًا يعبدونَ الله فاعبد اللهَ معهمْ. ولا ترجعْ إلى أرضكَ فإنها أرضُ سُوء. فانطلقَ حتى إذَا نصف الطريق أتاهُ الموتُ. فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب. فقالتْ ملائكةُ الرحمة: جاءَ تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالَت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطُّ. فأتاهم ملكٌ في صورةِ آدميّ. فجعلوهُ بينهم. فقالَ: قيسوا ما بين الأرضينِ. فإلى أيتهمَا كانَ**

أدنى، فهوَ له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أرادَ. فقبضته ملائكةُ الرحمة».

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم:

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: «أن رجلا قتلَ تسعةً وتسعينَ نفسًا فجعل يسألُ: هل لهُ منْ توبة؟ فأتى راهبًا فسأله فقال: ليستْ لك توبةٌ. فقتلَ الراهبَ. ثمَّ جعلَ يسألُ. ثمَّ خرَجَ منْ قريةٍ إلى قرية فيها قومٌ صالحونَ. فلما كانَ في بعض الطريقِ أدركهُ الموتُ. فنأى بصدره. ثم ماتَ. فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب. فكانَ إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبرٍ. فجعل منْ أهلهْا».

وقد شُرع تغريب الزاني والزانيه كما قال رسول الله ﷺ «البكرُ بالبكرِ جلدُ مائة ونفيُ سنةٍ»[1].

وقد ذكر بعض العلماء من أسباب تغريب الزاني أن ذلك كي ينسىٰ موطن المعصية، فمروره بموطن المعصية دومًا يذكره بها وقد يحمله علىٰ الوقوع فيها مرة أُخرىٰ.

ومن ثمَّ قال بعض الفقهاء فيمن جامع زوجته في الحج أنهما يفترقان حيث اجتمعا، أي أنهما إذا حجًا من عام مقبل لا يجتمعان في المكان الذي قد تم فيه الجماع.

وذلك - والله تعالىٰ أعلم - حتىٰ لا يتذكرا ما كان منهما في عامهما الأول ومن ثمَّ قد يقعان فيه، والله تعالىٰ أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا.

ومن سبل درء الفتن عدم اجتماع بنت صالح مع بنت رجل طالح كافر فاسد:

فقد منع الرسول ﷺ من اجتماع بنت نبيِّ الله مع بنت عدوِّ الله عند رجل واحد اتقاءً لفتنة قد تحدث:

أخرج البخاري ومسلم[١] من طريق علي بن الحسين أنهم حين قدموا المدينة، من عند يزيد بن معاوية، مقتل الحسين بن علي - رضي الله عنهما - ، لقيه المسور بن مخرمة.

فقال له: هل لك إليَّ من حاجةٍ تأمرني بها؟

قال فقلت له: لا. قال له: هل أنت معطيَّ سيف رسول الله ﷺ؟ فإنِّي أخاف أن يغلبك القوم عليه. وايم الله! لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبداً، حتى تبلغ نفسي. إن عليَّ بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة. فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك، على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلمٌ، فقال: «إنَّ فاطمةَ منِّي، وإني أتخوفُ أن تفتن في دينهَا».

وفي رواية أخرى[٢] في «الصحيحين» أيضاً: وهو يقول:

«إنَّ بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحُوا ابنتهمْ، علي بن أبي طالب فلا آذن لهمْ. ثمَّ لا آذن لهمْ. ثمَّ لا آذن لهمْ. إلا أن يحبَّ ابن أبي طالب أنْ يطلق ابنتي وينكح ابنتهمْ. فإنما ابنتي بضعةٌ مني. يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاهَا».

(١) البخاري (حديث ٣١١٠) ومسلم (ص١٩٠٣).
(٢) البخاري (حديث ٥٢٣٠) ومسلم (حديث ٢٤٤٩).

النهي عن مجالسة أهل الشر والفساد والكفر والارتياب والفسق والعصيان والتحذير من مخالطتهم والاقتراب منهم مع بيان شيء من خطر ذلك

لما تقدم من تأثُّر الجليس بجليسه، ولغير ما تقدم أيضًا، قد وردت نصوصٌ عدة من الآيات والأحاديث الثابتة الصحيحة تحذر من مجالسة أهل الكفر والشرك والشك والفساد والريب، والظلم والإثم والعدوان والغفلة نورد منها ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

وهذا الذي نزله الله تبارك وتعالىٰ، هو في سورة الأنعام إذ قد قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٨، ٦٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩٥].

ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

ومن النواهي عن مجالسة الظالمين أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

فلا تظن أن ظالمًا سينصرك ويحفظك ويدافع عنك بين يديّ الله وينافح عنك إذا أراد الله بك سوءًا أو مكروهًا.

ومما ورد في ذلك من التحذير أيضًا قوله تعالى ﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

ومن النواهي أيضًا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وقد نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار لاجتماع أهل النفاق فيه، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

وقد شُرِع الفرار من الفتن وترك أماكنها:

فقد أخرج البخاري[١] وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشكُ أنْ يكونَ خيرَ مالِ المسلمِ غنمٌ يَتبعُ بِها شعفَ الجبالِ ومواقعَ القطرِ يفرُّ بدينه من الفتن**».

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله؛ أيُّ الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مؤمنٌ يُجاهدُ في سبيلِ الله بنفسه وماله. قالوا: ثمَّ منْ؟ قال: مؤمنٌ في شِعْبٍ من الشِّعابِ، يتّقي اللهَ ويَدَعُ الناسَ منْ شرِّه**».

وأخرج البخاري[٣] من حديث سلمة بن الأكوع، أنه دخل على الحجاج فقال: يا بن الأكوع، ارتددت على عقبيك، تعربتَ؟[٤]، قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذِن لي في البدوِ.

وقد تقدمت نصيحة الفقيه العالم لمن قتل مائة نفس بمفارقة أرضه أرض السوء والانتقال إلى أرض أهلها أهل صلاح ليعبد الله معهم.

وأُمرنا أيضًا بالفرار من الدجال:

فأخرج أبو داود[٥] من حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**منْ سَمعَ بالدجال فَلْينأَ عنهُ، فوالله إنّ الرَّجل ليأتيهُ وهوَ يحسبنَّ أنه مؤمنٌ فيتبعهُ مما يبعثُ به من الشبهات ـ أوْ: لما يبعثُ به منَ الشبهات ـ**». هكذا قال.

---

(١) البخاري (حديث ١٩).
(٢) البخاري (حديث ٢٧٨٦) ومسلم (١٨٨٨).
(٣) البخاري (٧٠٨٧).
(٤) التعرّب: هو الرجوع إلى البادية بعد أن هاجر منها.
(٥) أبو داود (حديث ٤٣١٩) وأحمد (٤ / ٤٣١) وغيرهما بإسنادٍ صحيح.

ومن ذلك ما ورد ـ في إخراج المخنثين من البيوت:

أخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال: «**أخرجوهم من بيوتكم، وأخرجَ فلانًا، وأخرجَ عمرُ فلانًا**».

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان عندها ـ وفي البيت مخنث ـ فقال المخنث لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله لكم الطائف غداً أدلُّك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان[٣] فقال النبي ﷺ: «**لا يُدخلنَّ هذا عليكم**».

وقال رسول الله ﷺ: «**والمهاجرُ مَنْ هَجَرَ مَا نهى اللهُ عنهُ**»[٤].

---

(١) البخاري (٦٨٣٤). (٢) البخاري (حديث ٥٢٣٥) ومسلم (ص١٧١٥).

(٣) نقل الحافظ في الفتح (٩ / ٣٣٥) عن الخطابي أنه قال: يريد أن لها في بطنها أربع عكن.
فإذا أقبلت رؤيت مواضعها بارزةً منكسراً بعضها على بعض، وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبيها ثمانية، وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن، وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء، وجرت عادة الرجال غالبًا في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة.
قال النووي ـ رحمه الله ـ (٥ / ٢٥) قال العلماء: وإخراجه ونفيه كان لثلاثة معان:
أحدها: المعنى المذكور في الحديث أنه كان يظن أنه من غير أولي الإربة وكان منهم ويتكتم ذلك.
والثاني: وصفه النساء ومحاسنهن وعوراتهن بحضرة الرجال، وقد نُهي أن تصف المرأة المرأة لزوجها فكيف إذا وصفها الرجل للرجال؟
والثالث: أنه ظهر له منه أنه كان يطلع من النساء وأجسامهن وعوراتهن على ما لا يطلع عليه كثير من النساء فكيف الرجال، لا سيما على ما جاء في غير مسلم أنه وصفها حتى وصف ما بين رجليها أي فرجها وحواليه. والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري (حديث رقم ١٠).

ومن الأدلة على ذلك أيضًا ـ أعني على مفارقة جلساء السوء:

ما ورد من التفريق بين المتلاعنين، (وهما رجل وامرأة، رجل قذف امرأته فأقسم وأقسمت على ما ورد في آيات اللعان من سورة النور) فهو قد أثبت شيئًا وهي قد نفته، وأحدهما بلا شك كاذب ومغضوب على المرأة إن كانت كاذبة، والرجل ملعون إن كان كاذبًا، ولا تصح معاشرة ملعون لبريئة، أو مغضوب عليها لبريء عفيف، وهذا رأي جمهور العلماء؛ أن يُفرَّق بين المتلاعنين.

أخرج البخاري ومسلم[1]: من طريق ابن جريج قال: أخبرني ابن شهاب عن الملاعنة وعن السنة فيها عن حديث سهل بن سعد أخي بني ساعدة أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله أم كيف يفعل؟ فأنزل الله في شأنه ما ذكر في القرآن من أمر المتلاعنين، فقال النبي ﷺ:

«قدْ قضى اللهُ فيكَ وفي امرأتكَ». قال: فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد، فلما فرغا قال: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثًا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ حين فرغا من التلاعن، ففارقها عند النبي ﷺ فقال:

«ذاكَ تفريقُ بينَ كلِّ متلاعنين».

وأخرج البخاري[2] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ فرَّق بين رجلٍ وامرأةٍ قذفها وأحلفهما.

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٠٩) ومسلم (٣/ ٧١٦، ٧١٧).

(٢) البخاري (مع الفتح ٩/ ٤٥٨).

وفي رواية: «لاعن النبي ﷺ بين رجلٍ وامرأةٍ من الأنصار وفرَّق بينهما»[1].

وقد لعن الله عزَّ وجل الذين كفروا من بني إسرائيل ومن أسباب ذلك اللعن توليهم أهل الكفر فقال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

وقد ورد أيضًا التنفير عن مجالسة أهل البدع والأهواء:

فمن ذلك ما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - في تَبَرُّئِه من أهل البدع:

ففي «صحيح مسلم»[2] من طريق يحيىٰ بن يعمر؛ قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبدٌ الجهنيُّ. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميريُّ حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي. فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرؤن القرآن ويتقفرون[3] العلم. وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنفٌ[4]. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٤٥٨) ومسلم (٣/ ٧٢٠).

(٢) مسلم (حديث ٨). (٣) يتقفرون العلم: يطلبون العلم.

(٤) أُنف: أي مستأنف لم يسبق به قدرٌ ولا علمٌ من الله تعالىٰ وإنما يعلمه الله بعد وقوعه. كذا زعموا.

وأخرج الدارمي بسندٍ صحيح[١] عن أيوب قال: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن آن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

وعنده عن أيوب أيضًا[٢] قال: رآني سعيد بن جبير جلست إلىٰ طلق ابن حبيب[٣] فقال لي: ألم أرك تجلس إلىٰ طلق بن حبيب؟! لا تجالسنه.

وعنده أيضًا بسندٍ صحيح[٤] عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم.

وقد ورد أيضًا النهي عن مظاهرة المجرمين ومعاونتهم والركون إليهم قال تعالىٰ: ﴿فلا تكونن ظهيراً للمجرمين﴾ [الشعراء:].

وقال تعالىٰ: ﴿ولا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

وقد امتثل نبي الله موسىٰ ذلك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

وهذا حاطبٌ - رضي الله عنه - لما أراد اصطناع يدٍ عند المشركين بنوعٍ من الاقتراب منهم برسالة يرسلها إليهم، نزل فيه ما نزل من القرآن، وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث عليٍّ - رضي الله عنه - قال:

بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد. فقال: «ائتوا روضةَ خاخٍ[٦]. فإنَّ بها ظعينةً[٧] معهَا كتابٌ. فخذوهُ منهَا» فانطلقنا تعادي[٨] بنا خيلنا. فإذا نحن

---

(١) الدارمي (ص١٠٨).

(٢) الدارمي (ص١٠٨).

(٣) طلق بن حبيب متهمٌ بالإرجاء.

(٤) الدارمي (ص١١٠).

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٤٨٩٠) ومسلم (حديث ٢٤٩٤).

(٦) روضة خاخ: مكان بين مكة والمدينة بقرب المدينة.

(٧) الظعينة هنا: الجارية.

(٨) تعادي: أي تجري.

بالمرأة. فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي كتابٌ. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها[1]. فأتينا به رسول الله ﷺ. فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ **«يا حاطبُ! ما هـذَا؟»** قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله! إني كنت امرأ ملصقًا في قريش (قال سفيان: كان حليفًا لهم. ولم يكن من أنفسها) وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم. فأحببت - إذ فاتني ذلك من النسب فيهم - أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي. ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني. ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبيُّ ﷺ: **«صدقَ»** فقال عمر: دعني. يا رسول الله! أضرب عنق هذا المنافق. فقال **«إنه قد شهدَ بدراً. وما يدريكَ لعلَّ اللهَ اطلعَ على أهل بدر فقال: اعملُوا ما شئتمْ فقد غفرت لكمْ»** فأنزل الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الممتحنة: ١]. وليس في حديث أبي بكر وزهير ذكر الآية. وجعلها إسحاق، في روايته، من تلاوة سفيان[2].

وربُّ العزة ينقم على أقوام ويعاتبهم فيقول سبحانه: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٠].

وهؤلاء قوم قليلُ فقه قلوبهم كثيرُ شحم بطونهم انظر إلى اجتماعهم وقيلهم، وما قد نزل فيهم من قرآنٍ، فاحذر أن تجلس مجالس كمجالسهم.

أخرج البخاري ومسلم[3] من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال:

---

(١) عقاصها: أي شعرها المضفور.

(٢) أما سبب نزول الآية فالظاهر أنه مرسل أرسله عمرو كما هو واضح عقب رواية البخاري المشار إليها.

(٣) البخاري (حديث ٧٥٢١) ومسلم - واللفظ له - (حديث ٧٧٥).

اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفيٌ، أو ثقفيان وقرشيٌ، قليلُ فقه قلوبهم كثيرُ شحم بطونهم[١]. فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخرُ: يسمع، إن جهرنا. ولا يسمع، إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع، إذا جهرنا، فهو يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ الآية: [فصلت: ٢٢].

ولما اتبع قومُ نوحٍ من لم يزده ماله وولده إلا خساراً حل بهم من النكد والبلاء ما حل فأغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً.

وحتى بعد موت الظالمين فلا تدخل عليهم إلا متعظًا ومعتبراً[*]:

فقد نهى النبي ﷺ عن الدخول على طوائف من المعذبين إلا أن يكون الداخل عليهم باكيًا.

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال:

قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحجر[٣]: «لا تدخلوا على هؤلاء القوْم المعذبين، إلا أنْ تكونوا باكينَ. فإنْ لم تكونوا بَاكينَ فلا تدخلوا عليهم، أنْ يصيبنكمْ مثلُ ما أصابهمْ».

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

---

(١) «قليل فقه قلوبهم، كثير شحم طونهم» قال القاضي عياض رحمه الله: هذا فيه تنبيه على أن الفطنة قلما تكون مع السمن.

(*) أو مستغفراً لهم إذا كانوا من أهل الإسلام.

(٢) البخاري (حديث ٣٣٨١) ومسلم (حديث ٢٩٨٠).

(٣) أي في شأن أصحاب الحجر.

وهذه قصة كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ ونزل فيهم ما نزل

وفيها فوائد تتعلق بموضوع بحثنا هذا.

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها قطُّ. إلا في غزوة تبوك. غير أني قد تخلفت في غزوة بدر. ولم يعاتب أحداً تخلف عنه. إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش. حتىٰ جمع الله بينهم وبين عدوهم، علىٰ غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا علىٰ الإسلام. وما أحب أن لي بها مشهد بدر. وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها. وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، أني لم أكن قط أقوىٰ ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة. والله! ما جمعت قبلها راحلتين قط. حتىٰ جمعتهما في تلك الغزوة. فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً. فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم. فأخبرهم بوجههم الذي يريد. والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ. ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد بذلك الديوان) قال كعبٌ: فقلَّ رجلٌ يريد أن يتغيب، يظنُّ أن ذلك سيخفىٰ له، ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله عز وجل.

---

(١) البخاري (حديث ٤٤١٨) ومسلم (حديث ٢٧٦٩) واللفظ له.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال. فأنا إليها أصعر(١). فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه. وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم. فأرجع ولم أقض شيئًا. وأقول في نفسي: أنا قادرٌ علىٰ ذلك، إذا أردت. فلم يزل ذلك يتمادىٰ بي حتىٰ استمر بالناس الجدُّ. فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه. ولم أقض من جهازي شيئًا. ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا. فلم يزل ذلك يتمادىٰ بي حتىٰ أسرعوا وتفارط الغزو(٢). فهممت أن أرتحل فأدركهم. فيا ليتني فعلت. ثم لم يقدر ذلك لي. فطفقت، إذا خرجت في الناس، بعد خروج رسول الله، يحزنني أني لا أرىٰ لي أسوةً. إلا رجلاً مغموصًا عليه في النفاق(٣). أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتىٰ بلغ تبوكَ(٤) فقال، وهو جالسٌ في القوم بتبوك «ما فعل كعب بن مالك؟» قال رجلٌ من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه برداه والنظر في عطفيه(٥). فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت. والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ. فبينما هو علىٰ ذلك رأىٰ رجلاً مبيضًّا(٦) يزول به السراب(٧) فقال رسول الله ﷺ «كن أبا خيثمة(٨)»، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاريُّ. وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون(٩).

---

(١) (فأنا إليها أصعر) أي أميل. (٢) (وتفارط الغزو) أي تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(٣) (مغموصًا عليه في النفاق) أي متَّهما به. (٤) (حتىٰ بلغ تبوكَ) هي بلدة تبوك.

(٥) (والنظر في عطفيه) أي جانبيه. وهو إشارة إلىٰ إعجابه بنفسه ولباسه.

(٦) (مبيضًّا) هو لابس البياض.

(٧) (يزول به السراب) أي يتحرك وينهض. والسراب هو ما يظهر للإنسان في الهواجر، في البراري، كأنه ماء.

(٨) (كن أبا خيثمة) قيل: معناه أنت أبو خيثمة وقيل: تقديره: اللهم اجعله أبا خيثمة.

(٩) (لمزه المنافقون) أي عابوه واحتقروه.

فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا[١] من تبوك حضرني بثي[٢]. فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي. فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً[٣]، زاح[٤] عني الباطل. حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً. فأجمعت صدْقه[٥]. وصبح رسول الله ﷺ قادماً. وكان، إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين. ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المخلفون. فطفقوا يعتذرون إليه. ويحلفون له. وكانوا بضعة وثمانين رجلاً. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم. وبايعهم واستغفر لهم. ووكل سرائرهم إلى الله. حتى جئت. فلما سلمت، تبسَّم تبسُّم المغضب ثم قال: «**تعالَ**»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: «**ما خلفكَ؟ ألم تكنْ قد ابتعتَ ظهركَ؟**» قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً[٦]، ولكني والله! لقد علمت، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن[٧] الله أن يسخطك عليَّ. ولئن حدثتك حديث صدقٍ تجد عليَّ فيه[٨]، إني لأرجو فيه عقبى الله[٩]. والله ما

---

(١) (توجه قافلا) أي راجعاً. (٢) (حضرني بثي) هو أشد الحزن.
(٣) (أظل قادماً) أي: أقبل ودنا قدومه كأنه ألقى عليَّ ظله.
(٤) (زاح) أي زال.
(٥) (فأجمعت صدقه) أي عزمت عليه. يقال: أجمع أمره وعلى أمره، وعزم عليه بمعنى.
(٦) (أعطيت جدلا) أي فصاحة وقوة في الكلام وبراعة، بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليّ إذا أردت.
(٧) (ليوشكن) أي ليسرعن. (٨) (تجد عليّ فيه) أي تغضب عليَّ به.
(٩) (إني لأرجو فيه عقبى الله) أي: أن يعقبني خيراً، وأن يثيبني عليه.

كان لي عذرٌ. والله ما كنت قطُّ أقوىٰ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: «أما هذا، فقدْ صدَق. فقمْ حتَّى يقضي اللهُ فيكَ» فقمت. وثار رجالٌ من بني سلمة فاتبعوني. فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا. لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلىٰ رسول الله ﷺ، بما اعتذر به إليه المخلفون. فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله ﷺ لك.

قال: فوالله! ما زالوا يؤنبونني[١] حتىٰ أردت أن أرجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأكذب نفسي قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم. لقيه معك رجلان. قالا مثل ما قلت. فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما؟ قالوا: مُرارةُ بن ربيعة العامري[٢]، وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوةٌ. قال: فمضيت حين ذكروهما لي قال: ونهىٰ رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة[٣]، من بين من تخلف عنه.

قال، فاجتنبنا الناس. وقال، تغيروا لنا حتىٰ تنكرت لي في نفسي الأرض. فما هي بالأرض التي أعرف[٤]. فلبثنا علىٰ ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا[٥] وقعدا في بيوتهما يبكيان.

وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم[٦]. فكنت أخرج فأشهد الصلاة

---

(١) (يؤنبونني) أي: يلومونني أشد اللوم.

(٢) (العامريّ) قال النووي: هكذا هو في جميع نسخ مسلم: العامريّ. وأنكره العلماء وقالوا: هو غلط إنما صوابه العَمْريّ. من بني عمرو بن عوف. وكذا ذكره البخاريّ.

(٣) (أيها الثلاثةُ) قال القاضي: هو بالرفع، وموضعه نصب علىٰ الاختصاص. قال سيبويه، نقلاً عن العرب: اللهم اغفر لنا، أيتها العصابة، وهذا مثله.

(٤) (فما هي بالأرض التي أعرف) معناه: تغير عليّ كل شيء. حتىٰ الأرض، فإنها توحشت عليّ وصارت كأنها أرض لم أعرفها بتوحشها عليّ.

(٥) (فاستكانا) أي خضعا.

(٦) (أشب القوم وأجلدهم) أي أصغرهم سنًا وأقواهم.

وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحدٌ. وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة. فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام، أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر. فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ وإذا التفت نحوه أعرض عني. حتى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت[١] جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحبُّ الناس إليَّ. فسلمت عليه. فوالله! ما رد عليَّ السلام. فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله[٢]! هل تعلمنَّ أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت فعدت فناشدته. فسكت فعدت فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت، حتى تسورت الجدار.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطيٌّ من نبط أهل الشام[٣] ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة. يقول: من يدلُّ على كعب بن مالكٍ. قال فطفق الناس يشيرون له إليَّ. حتى جاءني فدفع إلي كتابًا من ملك غسان. وكنت كاتبًا. فقرأته فإذا فيه: «أما بعد. فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك. ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة[٤]. فالحق بنا نواسك[٥]»، قال: فقلت، حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء. فتياممت[٦] بها التنور فسجرتها[٧] بها

---

(١) (حتى تسورت) معنى تسوّرته: علوته وصعدت سوره، وهو أعلاه.

(٢) (أنشدك بالله) أي أسألك بالله، وأصله من النشيد، وهو الصوت.

(٣) (نبطيّ من نبط أهل الشام) يقال: النبط والأنباط والنبيط، وهم فلاحو العجم.

(٤) (مضيعة) فيها لغتان: إحداهما مَضِيعَة، والثانية مَضْيعَةَ. أي موضع وحال يضيع فيه حقك.

(٥) (نواسك) وفي بعض النسخ: نواسيك، بزيادة ياء. وهو صحيح، أي ونحن نواسيك، وقطعه عن جواب الأمر. ومعناه: نشاركك فيما عندنا.

(٦) (فتيامت) هكذا هو في جميع النسخ ببلادنا، وهي لغة في تيممت. ومعناها قصدت.

(٧) (فسجرتها) أي أحرقتها. وأنث الضمير لأنه أراد معنى الكتاب، وهو الصحيفة.

حتىٰ إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي[١]، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا. بل اعتزلها. فلا تقربنها. قال فأرسل إلىٰ صاحبيَّ بمثل ذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتىٰ يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ. فقالت له: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ. فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا. ولكن لا يقربنك**» فقالت: إنه والله ما به حركةٌ إلىٰ شيءٍ. ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلىٰ يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ. وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ، إذا استأذنته فيها، وأنا رجلٌ شابٌّ. قال فلبثت بذلك عشر ليالٍ. فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهىٰ عن كلامنا. قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، علىٰ ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالسٌ علىٰ الحال التي ذكر الله عز و جل منا. قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت[٢]، سمعت صوت صارخ أوفىٰ علىٰ سلع[٣] يقول، بأعلىٰ صوته: يا كعب بن مالك! أبشرْ. قال فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرجٌ.

---

(١) (واستلبث الوحي) أي أبطأ.

(٢) (وضاقت عليّ الأرض بما رحبت) أي بما اتسعت. ومعناه: ضاقت عليّ الأرض مع أنها متسعة. والرحب السعة.

(٣) (أوفىٰ علىٰ سلع) أي صعده وارتفع عليه. وسَلْع: جبل بالمدينة معروف.

قال: فآذن رسول الله ﷺ الناس[١] بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا. فذهب قبل صاحبيّ مبشرون. وركض رجلٌ إليَّ فرسًا. وسعى ساعٍ من أسلم قبلي. وأوفى الجبل. فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني. فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته. والله ما أملك غيرهما يومئذٍ. واستعرت ثوبين فلبستهما. فانطلقت أتأم[٢] رسول الله ﷺ. يتلقاني الناس فوجًا فوجًا[٣]، يهنئونني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد، وحوله الناس. فقام طلحة ابن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّأني. والله! ما قام رجلٌ من المهاجرين غيره.

قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعبٌ: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال ـ وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: «**أبشرْ بخيرِ يوم مرَّ عليكَ منذُ ولدتكَ أمكَ**» قال: فقلت: أمن عندك؟ يا رسول الله! أم من عند الله؟ فقال: «**لا بلْ منْ عند الله**» وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمرٍ. قال وكنَّا نعرف ذلك.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي[٤] صدقةً إلى الله وإلى رسوله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**أمسكْ**

---

(١) (فآذن.. الناس) أي أعلمهم.
(٢) (أتأم) أي أقصد.
(٣) (فوجًا فوجًا) الفوج الجماعة.
(٤) (أن أنخلع من مالي) أي أخرج منه وأتصدق به.

بعضَ مالكَ. فهوَ خيرٌ لكَ» قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال: وقلت: يا رسول الله؛ إن الله إنما أنجاني بالصدق. وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت. قال: فوالله، ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه الله[1] في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلىٰ يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به. والله! ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ، إلىٰ يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]. حتىٰ بلغ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال كعب: والله! ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط، بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي، من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته[2] فأهلك كما هلك الذين كذبوا. إن الله قال للذين كذبوا، حين أنزل الوحي، شر ما قال لأحد. وقال الله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

---

(١) (أبلاه الله) أي أنعم عليه. والبلاء والإبلاء يكون في الخير والشر. لكن إذا أطلق، كان للشر غالبًا. فإذا أريد الخير، قيد كما قيده هنا فقال: أحسن مما أبلاني.

(٢) (أن لا أكون كذبته) هكذا هو في جميع نسخ مسلم، وكثير من روايات البخاريّ. قال العلماء: لفظة «لا» في قوله: أن لا أكون، زائدة. ومعناه: أن أكون كذبته. كقوله تعالىٰ: ﴿ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك﴾.

قال كعب: كنا خلفنا، أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له. فبايعهم واستغفر لهم. وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتىٰ قضىٰ الله فيه. فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة:١١٨]. وليس الذي ذكر الله مما خلفنا، تخلفنا عن الغزو. وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا[١] عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

وقد بوَّب البخاري - رحمه الله تعالىٰ - في كتاب الأدب من صحيحه بـ: باب ما يجوز من الهجران لمن عصىٰ، وأورد جزءاً من الحديث السابق مُعلَّقا بلفظ: وقال كعب حين تخلَّف عن النبي ﷺ: «ونهىٰ النبي ﷺ المسلمين عن كلامنا» وذكر خمسين ليلة.

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - هنالك:

قال المهلب: غرض البخاري في هذا الباب أن يبين صفة الهجران الجائز، وأنه يتنوع بقدر الجرم، فمن كان من أهل العصيان يستحق الهجران بترك المكالمة كما في قصة كعب وصاحبيه، وما كان من المغاضبة بين الأهل والإخوان فيجوز الهجر فيه بترك التسمية مثلاً أو بترك بسط الوجه مع عدم هجر السلام والكلام.

وقال الكرماني: لعله أراد قياس هجران من يخالف الأمر الشرعي علىٰ هجران اسم من يخالف الأمر الطبيعي.

وقال الطبري: قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي، وقد

(١) إرجاؤنا أي تأخيرنا، ومنه ﴿ترجي من تشاء منهن...﴾ الآية.

استُشْكِلَ كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعًا، ولا يشرع هجران الكافر وهو أشدُّ جرمًا منهما لكونهما من أهل التوحيد في الجملة، وأجاب ابن بطال: بأن لله أحكامًا فيها مصالح للعباد وهو أعلم بشأنها وعليهم التسليم لأمره فيها، فجنح إلى أنه تعبد لا يعقل معناه.

وأجاب غيره بأن الهجران على مرتبتين:

الهجران بالقلب، والهجران باللسان.

فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر، لا سيما إذا كان حربيًّا، وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره، بخلاف العاصي المسلم فإنه ينزجر بذلك غالبًا، ويشترك كل من الكافر والعاصي في مشروعية مكالمته بالدعاء إلى الطاعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما المشروع ترك المكالمة بالموادَّة ونحوها.

وقال الحافظ ابن حجر في موطن آخر من «فتح الباري» في شرح هذا الحديث:

وفيها ترك السلام على من أذنب وجواز هجره أكثر من ثلاث.

وأما النهي عن الهجر فوق ثلاث فمحمول على نهي لم يكن هجرانه شرعيًّا.

آثار مجالسة الأشرار ومخاطر ذلك

لجلساء السوء خطرٌ عظيم فقد يصرفون الشخص عن دينه بالكلية ومن ثم يتردىٰ في جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً والعياذ بالله، وقد يوقعونه في البدعة والكبيرة والمعصية، إلىٰ غير ذلك من الشرور والآثام.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٥].

وها هو رجل كان حليماً وتسبب صاحبه وخليله في إضلاله وإغوائه وفيه نزل: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وها هو الحديث بذلك:

أورد السيوطي في «الدر المنثور» وعزاه إلىٰ ابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل»، وصحح السيوطي إسناده من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا معيط كان يجلس مع النبي - صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم - بمكة لا يؤذيه وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمراً، فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ

فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية فقال: ما لك لا ترد عليَّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟ فقال: أوقد فعلتها قريش؟ قال فما يبرئ صدورهم إنْ أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل فلم يزد النبي ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال: **«إنْ وجدتكَ خارجًا منْ جبالِ مكةَ أضربُ عنقكَ صبرًا»** فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أَبَىٰ أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا، قال: قد وعدني هذا الرجل إنْ وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرًا، فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدْرَك فلو كانت الهزيمة طِرْتَ عليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحَل به جمله في جُدَد من الأرض فأخذه رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ أسيرًا في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء. قال: **«نعمْ بمَا بزقتَ في وجهِي»**، فأنزل الله في أبي معيط: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾.

وله وجه آخر عند عبد الرزاق[1] في «مصنفه» بسندٍ مرسل من طريق معمر عن مقسم مولىٰ ابن عباس، قال معمر: وحدثني الزهري ببعضه قال: إن ابن أبي مُعَيط وأُبيّ بن خلف الجمحي التقيا، فقال عقبة بن أبي مُعَيط لأُبَيّ ابن خلف، وكانا خليلين في الجاهلية، وكان أُبَيّ بن خلف أتىٰ النبي ﷺ، فعرض عليه الإسلام، فلما سمع ذلك عقبة قال: لا أرضىٰ عنك حتىٰ تأتي محمدًا فتتفُل في وجهه، وتشتمه وتُكَذِّبه، قال: فلم يُسَلِّطه الله علىٰ ذلك، فلما كان يوم بدر أُسِرَ عقبة بن أبي معيط في الأُسارىٰ فأمر النبي ﷺ عليَّ ابن أبي طالب أن يقتله، فقال عقبة: يا محمد! مِنْ بين هؤلاء أُقتل؟

(١) المصنف (٥/ ٣٥٥، ٣٥٦).

قال: نعم.

قال: لِمَ؟

قال: بكفرك، وفجورك، وعُتُوّك على الله ورسوله.

قال معمر: وقال مقسم: فبلغنا ـ والله أعلم ـ أنه قال: فمَن للصبية؟ قال: النار، قال: فقام إليه علي بن أبي طالب فضرب عنقه.

وأمَّا أُبَيّ بن خلف فقال: والله لأقتلنَّ محمداً.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: بل أنا أقتله ـ إن شاء الله ـ، قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي ﷺ إلى أُبَيّ بن خلف، فقيل: إنَّه لَمَّا قيل لمحمد ﷺ ما قلتَ، قال: بل أنا أقتله ـ إن شاء الله ـ، فأفزعه ذلك، وقال: أنْشُدُك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم، فوقعت في نفسه، لأنهم لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول قولاً إلا كان حقًّا، فلما كان يوم أُحد خرج أُبَيّ ابن خلف مع المشركين، فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه، فيحُول رجل من المسلمين بينه وبين النبي ﷺ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال لأصحابه: خَلُّوا عنه، فأخذ الحربة فجزله بها ـ يقول: رماه بها ـ فيقع في ترقوته، تحت تسبغة البيضة، وفوق الدِّرع، فلم يخرج منه كبير دمٍ، واحتقن الدم في جوفه، فجعل يخور كما يخور الثور، فأقبل أصحابه، حتى احتملوه وهو يخور، وقالوا: ما هذا؟ فوالله ما بك إلا خدش، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقِه لقتلني، أليس قد قال: أنا أقتله ـ إن شاء الله ـ، والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم، قال: فما لبث إلا يومًا أو نحو ذلك حتى مات إلى النار فأنزل الله فيه ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا ﴾[1].

---

(١) ولذلك وجوه أُخر بأسانيد أُخر فيها مقالات.

انظر أبا نعيم في «دلائل النبوة» (٢ / ٦٠٦) والطبري (٣ / ٣٨٥) وابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٨٣)، وتفسير عبد الرزاق (٢ / ٥٧) وغير ذلك.

وهذه مجالسُ نحسٍ مستمر

تلك المجالس التي يقعد أهلها بكل صراطٍ يوعدون و يصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجًا .

تلك المجالس التي شُغِلَ أهلها بأموالهم وأولادهم عن ذكر الله فأصبحوا من الخاسرين .

مجالس اتبع أهلها من لم يزده ماله وولده إلا خساراً .

مجالس أهل الظلم وأهل الكفر، تلك التي تئول بأهلها إلى الجحيم والعياذ بالله .

ها هم جلساء سوءٍ أرْدَوا صاحبهم إلى الجحيم بعد أن كاد أن يُسلم، ألا وهو أبو طالب عم رسول الله ﷺ الذي كان ينافح عن الرسول ويدافع، فقد ذكر العلماء من أبياته التي كان ينافح بها عن رسول الله ﷺ هذه الأبيات(١) :

وأَبيض يُستسقَى الغمامُ بوجهه ... ثمالُ اليتامى عصْمَةٌ للأراملِ
يلوذُ به الهُلاَّكُ مِنْ آل هاشمٍ ... فهُم عندَهُ في نعمَةٍ وفَواضِلِ
كَذَبْتُم وبَيْت اللَّه يُبزَى محمدٌ ... ولما نُقاتل دونَه ونُناضلِ
ونُسْلِمُه حَتَّى نُصَرَّعَ حولَهُ ... ونَذْهَلَ عَنْ أبْنائنَا والحَلائلِ

وذكروا منها أيضًا قوله :

وَاللَّه لَنْ يَصِلُوا إليكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوسَّدَ في التُّرَابِ(٢) دفينَا

---

(١) البداية والنهاية (٦ / ٩٣).
(٢) فتح الباري (٧ / ١٩٤).

وَذَكروا أيضًا مقولته :

وَدَعَوْتَني وَعَلِمْتُ أنَّكَ صَادِقٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا[١]

فانظر إلىٰ الضرر العظيم الذي ألحقه رفيق السوء أبو جهل بأبي طالب في «الصحيحين»[٢] طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال :

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة .

فقال رسول الله ﷺ : «**يا عَمِّ؛ قُلْ: لا إِلَهَ إلا اللَّه. كلمةٌ أشهدُ لكَ بهَا عندَ اللَّه**» .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ؛ أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتىٰ قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو علىٰ ملة عبد المطلب . وأبىٰ أن يقول : لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : «**أمَا والله ؛ لأستغفرنَّ لكَ ما لمْ أُنه عنكَ**» فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كَانَ للنَّبي وَالَّذين آمَنوا أن يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكين وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيم** ﴾ [التوبة : ١١٣] . وأنزل الله تعالىٰ في أبي طالب ، فقال لرسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين** ﴾ [القصص : ٥٦] .

وهرقل كاد أن يُسلم ، وتمنىٰ أن يكون عند رسول الله ﷺ يغسل التراب عن رجليه ، ولكن قرناء السوء وخِلاَّن الشر والفساد تسببوا في ضلاله لما آثر رغبتهم علىٰ ما عند الله عزَّ وجل ، فقد سأل هرقل أبا سفيان جملة من

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٩٦) .

(٢) البخاري (حديث ٣٨٨٤) ومسلم (حديث ٢٤) .

الأسئلة عن رسول الله ﷺ وعلم من أجوبتها ما يقطع بصحة نبوة رسول الله ﷺ، ومع ذلك ضل لما آثر مُلكه وآثر مجالسة حاشيته وبطانته وأن يبقىٰ ملكًا عليهم ويرضون عنه، فكفر بذلك وخُذِل.

في «الصحيح»[١] من حديث أبي سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش. . . فذكر الحديث وفيه أن هرقل قال له بعد جملةٍ من الأسئلة التي وجهها إليه وأجابه عليها أنه قال للترجمان:

قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يَتَأَسَّىٰ بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب علىٰ الناس ويكذب علىٰ الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتىٰ يتم. وسألتك: أيرتد أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت: أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارجٌ لم أكن أظنُّ أنه

---

(١) البخاري (حديث ٧) ومسلم ببعضه (حديث ١٧٧٣).

منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

فذكر الحديث وفيه:

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلىٰ الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأىٰ هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم علىٰ دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.

وها هو جليس سوء كاد أن يُرْدي جليسه، ولكن الله سلَّم قال تعالىٰ في شأن أهل الجنة: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧].

قال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها:

لما ذكر تعالىٰ نعيمهم، وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، وصف تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتىٰ أفضىٰ ذلك بهم إلىٰ أن قال قائل منهم: ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ في الدنيا ينكر البعث، ويلومني علىٰ تصديقي به و ﴿ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي: مجازون بأعمالنا؟

أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابًا وعظامًا، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازىٰ بأعمالنا؟!!.

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني. ما زلت أنا مؤمنًا مصدقًا، وهو ما زال مكذبًا منكرًا للبعث، حتىٰ متنا، ثم بُعثنا. فوصلت أنا إلىٰ ما ترون من النعيم الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك أنه قد وصل إلىٰ العذاب.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ لننظر إليه، فنزداد غبطة وسرورًا بما نحن فيه، ويكون ذلك رَأْي عين؟

والظاهر من حال أهل الجنة، وسرور بعضهم ببعض، وموافقة بعضهم بعضًا، أنهم أجابوه لما قال، وذهبوا تبعًا له، للاطلاع علىٰ قرينه.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ﴾ أي: رأىٰ قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، أي: في وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد أحاط به.

﴿قَالَ﴾ له، لائمًا علىٰ حاله وشاكرًا لله علىٰ أن نجاه من كيده.

﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي: تهلكني بسبب ما أدخلت عليَّ من الشُّبَه بزعمك.

﴿وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علىٰ أن ثبتني علىٰ الإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب معك ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٨، ٥٩].

أي: يقوله المؤمن، مبتهجًا بنعمة الله علىٰ أهل الجنة بالخلود الدائم فيها، والسلامة من العذاب: استفهام بمعنىٰ الإثبات والتقرير.

وجلساء السوء يزينون لك الباطل ويحببونك فيه:

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وجلساء السوء يصرفونك عن الخير ويزهدونك فيه قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

وكذا فإنهم يشككونك فيما أنت عليه من الحق:

قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وهم ـ أعني جلساء السوء ـ أتباع للشيطان، والشيطان قد قعد لابن آدم عند طرق الخير يصرفه عنها ويصده عنها:

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ «إنَّ الشيطانَ قعدَ لابن آدمَ بأَطْرقِه، فقعدَ لهُ بطريقِ الإسلامِ، فقالَ: تُسلمْ وتذر دينكَ ودينَ آبائكَ وآباء أبيكَ؟! فعصاهُ، فأسلم، ثمَ قعدَ لهُ بطريقِ الهِجْرة، فقالَ تهاجرُ وتدع أرضكَ وسماءكَ؟! وإنما مثلُ المهاجرِ كمثلِ الفرسِ في الطول، فعصاهُ، فهاجرَ ثمَّ قعد لهُ بطريقِ الجهادِ فقالَ: تجاهدُ فهوَ جهدُ النفسِ والمال، فتُقاتلُ فتقتلُ فتنكحُ المرأةُ ويقسمُ المالُ؟! فعصاه، فجاهد، فقال رسولُ الله ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذلكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله عزَّ وجلَّ أنْ يدخلهُ الجنة ومَنْ قُتلَ كان حقا على الله عزَّ وجلَّ أنْ يدخلهُ الجنةَ وإن غرقَ كانَ حقا على الله أن يدخلهُ الجنَّة، أو وَقصتهُ

دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنةَ»[1].

وقد قال الشيطان لربه: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

فما من سبيل من سبل الخير إلا وعليه شيطان يصرف الناس عنه ويصد الناس عنه، شيطان إنس كان أو شيطان جن، ومن ثمَّ قال نبي الله شعيب عليه السلام لقوم: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦].

فإذا أقبل الشخص علىٰ الاستقامة وجد هناك من جلساء السوء من يُرَهِّبه منها ويثقِّلها عليه.

وإذا أقبل علىٰ الصدقة وجد هناك من يُزهده فيها ويبخله عن إخراجها.

وإذا أقبل علىٰ الحج يجد من يثبطه ويُسَوِف له، وهكذا جلساء السوء علىٰ الدوام أتباع للشياطين يصدون الناس عن الخير.

واحذر فإن من جلساء السوء:

دعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها:

أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير. وكنت أسأله عن الشر،

---

(١) النسائي (٦ / ٢١ ـ ٢٢) وأحمد في المسند (٣ / ٤٨٣) وإسناده حسنٌ، وأشار بعض العلماء إلىٰ اختلاف وقع في إسناده، انظر «الإصابة» ترجمة سبرة.

(٢) البخاري (حديث ٣٦٠٦) ومسلم (حديث ١٨٤٧) واللفظ له.

مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله؛ إنا كنا في جاهلية وشر. فجاءنا الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «**نعمْ**» فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم.وَفيه دَخنٌ**»(١) قلت: وما دخنه؟ قال: «**قومٌ يستنونَ بغيرِ سنتي. ويهدونَ بِغَيرِ هدْيِي. تعرفُ منهمْ وتنكرُ**». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعمْ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ**(٢) **منْ أجابهمْ إليها قذفوهُ فيهَا**» فقلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا. قال: «**نعم، قومٌ من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: يا رسول الله؛ فما ترىٰ إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزمُ جماعَةَ المسلمينَ وإمامهمْ**» فقلت: فإن لم تكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فَاعتزلْ تلكَ الفرقْ كلَّها. ولوْ أنْ تعضَّ على أصْلِ شجرةٍ، حتى يدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلكَ**».

وجلساء السوء يُخَذِّلون أصحابهم في أشد المواطن التي يُحتاج فيها إلى ناصرٍ ومعين:

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١، ١٢].

---

(١) الدخن: لون يميل إلىٰ السواد، والمراد أن القلوب لا تصفو لبعضها ولا يزول خبثها كذا نقل عن النووي رحمه الله بمعناه.

(٢) يدخل فيها الأمراء الذين يدعون إلىٰ البدع والضلالات، ويدخل فيها علماء السوء الذين يدعون إلىٰ ذلك أيضًا.

وها هو عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين ينسحب ويتخلى عن رسول الله ﷺ ومعه ما يقارب ثلث الجيش :

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ لما خَرَجَ النبيُّ ﷺ إلىٰ غزوة أحد، رجع ناسٌ ممن خرج معه. وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين: فرقةٌ تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨] وقال: «إنها طيبةٌ تنفي الذنوبَ، كما تنفي النارُ خبثَ الفضة».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح الباري» في شرحه لهذا الحديث:

قوله (رجع ناس ممن خرج معه) يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وقد ورد ذلك صريحًا في رواية موسىٰ بن عقبة في المغازي وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأي النبي ﷺ علىٰ الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج قال عبد الله بن أبي لأصحابه: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟ فرجع بثلث الناس. قال ابن إسحاق في روايته: فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجيًّا كعبد الله بن أبي فناشدهم أن يرجعوا فأبوا فقال: أبعدكم الله.

وجلساء السوء يغررون بجلسائهم، ويمنونهم أماني كاذبة:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

---

(١) البخاري (حديث ٤٠٥٠) ومسلم (٢٧٧٦).

وأهل الغـواية والزيغ والضلال يحبـون لجلسائهم الغـواية والزيغ والضلال كذلك حتى يكونوا أمثالهم:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ [القصص: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] أي أحبوا نزول العنت بكم ورغبوا في حلول المشقة بكم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: ٨٩].

وقال تعالىٰ ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فمن ثمَّ فالزاني يحب أن يزني الناس كلهم.

وكذا السارق المحدود (الذي أقيم عليه الحد) يحب أن يسرق الناس كلهم.

وأيضًا فشَرَبَة الخمر (في الغالب) يحبون أن يشرب الناس كلهم وذلك حتىٰ لا يمتازوا عليهم.

وقد قـال شيخ الإسلام ابن تيـمية ـ رحـمه الله تعالى ـ في كـتاب «الاستقامة» بعد أن ذكر أموراً:

وهذه الأمـور مما تعظم بها المحنة علىٰ المؤمنين، فإنهم يحتاجون إلىٰ شيئين: إلىٰ دفع الفتنة التي ابتُلي بها نظراؤهم ـ من فتنة الدين والدنيا ـ عن

نفوسهم، مع قيام المقتضىٰ لها، فإن معهم نفوسًا وشياطين، كما مع غيرهم.

فمع وجود ذلك من نظرائهم يقوىٰ المقتضىٰ عندهم كما هو الواقع، فيقوىٰ الداعي الذي في نفس الإنسان وشيطانه، ودواعي الخير كذلك، وما يحصل من الداعي بفعل الغير والنظير.

فكم من الناس لم يرد خيراً ولا شرّاً حتىٰ رأىٰ غيره - لاسيما إن كان نظيره - يفعله ففعله، فإن الناس كأسراب القطا، مجبولون علىٰ تشبه بعضهم ببعض.

ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له مثل من تبعه من الأجر والوزر. كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سنةً حسنةً فله أُجرهَا وأجرَ مَن عملَ بها إلى يَوم القيامةَ منْ غيرِ أن يُنْقصَ مِنْ أجورهمْ شيءٌ، ومَنْ سَنَّ سنةً سيئة فعليه وزرهَا ووزر مَنْ عملَ بهَا إلى يومِ القيامةِ منْ غيرِ أنْ يُنْقصَ منْ أوزارهمْ شيءٌ**»[1]، وذلك لاشتراكهم في الحقيقة، وأن حكم الشيء حكم نظيره، وشبيه الشيء منجذب إليه.

فإذا كان هذان داعيين قويين، فكيف إذا انضم إليهما داعيان آخران؟!

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله قال: جاء ناسٌ من الأعراب إلىٰ رسول الله ﷺ، عليهم الصوف. فرأىٰ سوء حالهم قد أصابتهم حاجةٌ. فحث الناس علىٰ الصدقة، فأبطؤوا عنه حتىٰ رؤي ذلك في وجهه.

قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتىٰ عرف السرور في وجهه. فقال رسول الله ﷺ «من سن في الإسلام سنة حسنةً، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها. ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كُتب عليها وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيءٌ».

وذلك أن كثيراً من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه، ويبغضون من لا يوافقهم. وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة: من موالاة كل قوم لموافقيهم ومعاداتهم لمخالفيهم. وكذلك في أمور الدنيا والشهوات كثيراً ما يختار أهلها ويؤثرون من يشاركهم في أمورهم وشهواتهم إما للمعاونة على ذلك، كما في المتغلبين من أهل الرياسات وقطاع الطريق ونحو ذلك، وإما لتلذذهم بالموافقة، كما في المجتمعين على شرب خمر مثلاً، فإنهم يحبون أن يشرب كل من حضر عندهم، وإما لكراهتهم امتيازه عنهم بالخير: إما حسداً له على ذلك، وإما لئلا يعلو عليهم بذلك ويُحمد دونهم، وإما لئلا يكون له عليهم حجة، وإما لخوفهم من معاقبته لهم بنفسه، أو بمن يرفع ذلك إليهم، ولئلا يكونوا تحت منته وحظره، ونحو ذلك من الأسباب.

قال الله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**﴾ [البقرة: ١٠٩] وقال تعالى في المنافقين: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾ [النساء: ٨٩]. وقال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن».

والمشاركة قد يختارونها في نفس الفجور، كالاشتراك في شرب الخمر والكذب والاعتقاد الفاسد، وقد يختارونها في النوع الثاني: كالزاني الذي يود أن غيره يزني، أو السارق الذي يود أن غيره يسرق لكن في غير العين التي زنى بها أو سرقها.

وأما الداعي الثاني فقد يأمرون الشخص بمشاركتهم فيما هم عليه من المنكر؛ فإن شاركهم وإلا عادوه وآذوه على وجه قد ينتهي إلى حد الإكراه أو لا ينتهي إلى حد الإكراه.

ثم إن هؤلاء الذين يختارون مشاركة الغير لهم في قبيح فعلهم، أو يأمرونه بذلك ويستعينون به على ما يريدونه، متى شاركهم وعاونهم وأطاعهم انتقصوه واستخفوا به، وجعلوا ذلك حجة عليه في أمور أخرى، وإن لم يشاركهم عادوه وآذوه. وهذه حال غالب الظالمين القادرين.

وهذا الموجود في المنكر موجود نظيره في المعروف وأبلغ منه. كما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] فإن داعي الخير أقوى، فإن الإنسان فيه داع يدعوه إلى الإيمان والعلم، والصدق والعدل وأداء الأمانة، فإذا وجد من يعمل مثل ذلك صار له داع آخر، لاسيما إذا كان نظيره، لا سيما مع المنافسة، وهذا محمود حسن.

فإن وجد من يحب موافقته على ذلك ومشاركته له من المؤمنين والصالحين، ومن يبغضه إذ لم يفعل ذلك، صار له داعٍ ثالث.

فإذا أمروه بذلك ووالوه على ذلك، وعادوه وعاقبوه على تركه، صار له داعٍ رابع.

ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات، كما يقابل الطبيب المرض بضده، فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه، وذلك بشيئين: بفعل الحسنات، وبترك السيئات، مع وجود ما ينفي الحسنات، ويقتضي السيئات. وهذه أربعة أنواع.

ويؤمر أيضًا بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه. قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١-٣].

ومن صاحب أهل الشر والفساد ناله كِفلٌ من عقوبتهم

فها هم قومٌ من أهل الإسلام بمكة خرجوا يُكثِّرون سواد المشركين على المسلمين يوم بدر فكان المسلمون الذين هم مع رسول الله ﷺ يرمي أحدهم بسهمه فيصيب أخاه الذي هو في صفوف أهل الشرك فيحزن المسلمون لذلك ويقولون قَتَلْنَا إخواننا فينزل قرآن يُرفع به الحرج عن المسلمين الذين هم مع رسول الله ﷺ ويتوعد به هؤلاء الذين خرجوا مع أهل الشرك. أخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِّرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيُقتل فأنزل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[2] [النساء: ٩٧].

وفي «الصحيح»[3] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت قال رسول الله ﷺ: **«يغزُو جيشٌ الكعبةَ فإذا كانوا ببيداءَ من الأرضِ يُخسفُ بأولهمْ وآخرهمْ»**، قالت قلتُ يا رسول الله: كيف يُخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: **«يُخسفُ بأولهمْ وآخرهمْ ثمَّ يبعثونَ علَى نياتهمْ»**.

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٩٦).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية.

(٣) البخاري (حديث ٢١١٨).

وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أنزلَ اللهُ بقومٍ عذابًا أصابَ العذابُ من كانَ فيهم ثم بُعثوا على أعمالهمْ»**[٢].

وأخرج مسلم[٣] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: عبث[٤] رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله؟! فقال: **«العجبُ، إنَّ ناسًا من أمتي يؤمُّونَ بالبيتِ برَجلٍ منْ قريشٍ قد لجأ بالبيتِ، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسفَ بهمْ»**، فقلنا: يا رسول الله؛ إن الطريق قد يجمعُ الناس؟ قال: **«نعمْ، فيهم المستبصرُ**[٥]

(١) البخاري (حديث ٧١٠٨) ومسلم (٢٨٧٩).
(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٤ / ٢٤١): (قال المهلب في هذا الحديث: أن من كثَّر سواد قوم في المعصية مختاراً أن العقوبة تلزمه معهم. قال: واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شربة الخمر وإن لم يشرب، وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التي في الحديث هي الهجمة السماوية. فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية، ويؤيده آخر الحديث حيث قال: «ويبعثون على نياتهم»، وفي هذا الحديث: أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي ضرورة من البشرية؟ ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته، وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث.
وقال ابن التين: (يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم فيخسف بهم، وتعقب بأن في بعض طرقه عند مسلم: «إن ناساً من أُمتي»، والذين يهدمونها من كفار الحبشة، وأيضاً فمقتضى كلامه: أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا، وظاهر الخبر: أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها).
(٣) مسلم: (حديث ٢٨٨٤).
(٤) عبث: أي اضطرب بجسمه أو حرك أطرافه وهو نائم.
(٥) «المستبصر»: هو المستبين لذلك القاصد للمقاتله.

والمجبورُ[١] **وابن السبيلِ**[٢]**، يهلكونَ مهلكًا واحدًا، ويصدرونَ مصادرَ شتَّى، يبعثهمُ اللهُ على نيَّاتهمْ**».

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: «**لا إلهَ إلا اللَّهُ. ويلٌ للعربِ من شرٍّ قدْ اقتربَ. فتحَ اليومَ منْ ردمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثل هذهِ**» وعقد سفيان بيده عشرة.

قلت: يا رسول الله؛ أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعمْ، إذا كثرَ الخبثُ**».

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أرادَ اللهُ بقومٍ عذابًا، أصابَ العذابُ منْ كانَ فيهمْ، ثمَّ بعثوا على أعمالهمْ**»[٤].

ثم إنا إذا نظرنا في أحوال أهل الشر عمومًا، ومن ابتلي منهم بسجنٍ موحشٍ مُظلم، ومن ارتكب جريمة أو اقترف إثمًا أو عق والدًا أو والدةً نجد من أعظم أسباب ما وقعوا فيه صديقًا شريرًا مُفسدًا، وقرينًا من قرناء الشر والسوء.

---

(١) «المجبور»: هو المكره.

(٢) «ابن السبيل»: المراد به هنا: سالك الطريق معهم وليس منهم.

قال النووي - رحمه الله -: (وفي هذا الحديث من الفقه: التباعد من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم، ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به.

وفيه: أن من كثر سواد قوم جرىٰ عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا).

قال النووي: (وبيداء المدينة»: الشرف الذي قُدَّام ذي الحليفة، أي: إلىٰ جهة مكة).

قلت: وقد تقدم أن البيداء هي كل أرض ملساء.

(٣) البخاري (حديث ٧٠٥٩) ومسلم (حديث ٢٨٨٠) ونقل النووي عن الجمهور تفسير (الخبث) في الحديث بالفسق والفجور.

(٤) مسلم (حديث ٢٨٧٩).

ومن جالس أهل الريب والشر والفساد استجلب طعن الناس فيه وأثار الشكوك حول نفسه:

أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث عتبان بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وهو من أصحاب النبي ﷺ، ممن شهد بدراً، من الأنصار ـ أنه أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إني قد أنكرت بصري. وأنا أصلي لقومي. وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم. ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وددت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلىٰ فأتخذه مصلىٰ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**سأفعلُ إنْ شاءَ الله**».

قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار. فاستأذن رسول الله ﷺ. فأذنت له. فلم يجلس حتىٰ دخل البيت. ثم قال: «**أين تحبُّ أنْ أصلِّي مِنْ بيتكَ؟**» قال: فأشرت إلىٰ ناحية من البيت. فقام رسول الله ﷺ فكبر. فقمنا وراءه فصلىٰ ركعتين ثم سلم. قال وحبسناه علىٰ خزيرٍ(٢) صنعناه له قال: فثاب رجالٌ من أهل الدار(٣) حولنا. حتىٰ اجتمع في البيت رجالٌ ذوو عددٍ. فقال قائلٌ منهم: أين مالك بن الدُّخْشُن؟ فقال بعضهم: ذلك منافقٌ لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقلْ لهُ ذلكَ ألا تراهُ قدْ قالَ: لا إلهَ إلا اللَّه يريدُ بذلكَ وجه الله؟**» قال قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنما نرىٰ وجهه ونصيحته للمنافقين. قال فقال رسول الله ﷺ: «**فإنَّ الله قد حرمَ على النارِ مَنْ قالَ: لا إله إلا اللهُ، يبتغِي بذلكَ وجهَ الله**».

---

(١) البخاري (حديث ١١٨٦) ومسلم (حديث ٣٣).

(٢) الخزير: لحم يقطع قطعًا صغيرةً ثم يصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذُرَّ عليه دقيق.

(٣) ثاب: أي اجتمع.

وقد سُنَّ لنا أن ندفع الشبه والشكوك عن أنفسنا، ومن جالس أهل الشر والفساد لم يدفع الشبهة عن نفسه:

*أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث صفية بنت حيي - رضي الله عنها. قالت: كان النبي ﷺ معتكفًا. فأتيته أزوره ليلاً. فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد. فمر رجلان من الأنصار. فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا. فقال النبي ﷺ: «**على رسلكمَا إنهَا صفيةُ بنتُ حييٍّ**» فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرَى الدمِ. وإني خشيتُ أن يقذفَ في قَلُوبِكمَا شراً**» أو قال: «**شيئًا**».

* وعند مسلم[2] من حديث أنس؛ أن النبي ﷺ كان مع إحدىٰ نسائه فمر به رجلٌ فدعاه. فجاء. فقال: «**يا فلانُ! هذه زوجتي فلانةُ**» فقال: يا رسول الله! من كنت أظن به، فلم أكن أظن بك. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدَّمِ**».

ومجالسة الأشرار تحمل علىٰ المنافسة في الشر.

وجليس السوء يقابلك بوجه، ومن خلفك بوجه آخر، يثني عليك في وجهك، ويطعن فيك من خلفك:

وفيه قول رسول الله ﷺ: «**تجدونَ منْ شرِّ الناسِ ذا الوجهينِ، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[3] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا.

---

(١) البخاري (حديث ٣٢٨١) ومسلم (حديث ٢١٧٥).
(٢) مسلم (حديث ٢١٧٤).
(٣) البخاري (حديث ٣٤٩٣) ومسلم (٢٥٢٦).

* وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

* وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: ١٤].

وصديق السوء يخلفك في أهلك بشرٍّ وسوء.

ومجالسة الشريرين تحمل على التشبه بهم وتقليدهم في هديهم وعملهم:

ومن ثمَّ تقود هذه المشابهة إلىٰ موافقة أخلاقهم وموافقتهم في معتقدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:

إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلىٰ موافقة ما في الأخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة ـ مثلاً ـ يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

وقال شيخ الإسلام أيضًا[1]:

وذلك أن الله تعالىٰ جبل بني آدم ـ بل سائر المخلوقات، علىٰ التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتىٰ يئول الأمر إلىٰ أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص٤٨٧ فما بعدها.

بالعين فقط.

ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص، كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط فلابد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلاً، فلابد من نوع ما من المفاعلة.

ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة. وكذلك: الآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمّالون والبغّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلاّبون، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي.

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين. هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرد الإسلام. والمشاركة في الهدي الظاهر توجب أيضًا مناسبة وائتلافًا.

وإن بَعُد المكان والزمان فهذا أيضًا أمر محسوس؛ فمشابهتهم في أعيادهم - ولو بالقليل - هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط، علق الحكم به، وأدير التحريم عليه، فنقول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين

الأخلاق والأفعال المذمومة. بل في نفس الاعتقادات وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله، لو تفطن له، وكل ما كان سببًا إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه، كما دلت عليه الأصول المقررة.

وقال شيخ الإسلام أيضًا:

إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين.

وذاك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، بل لو اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب ونحو ذلك ـ لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما. وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضًا، مالا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة: إما على الملك وإما على الدين.

وتجد الملوك ونحوهم من الرؤساء ـ وإن تباعدت ديارهم وممالكهم ـ بينهم مناسبة تورث مشابهة ورعاية من بعضهم لبعض. وهذا كله موجب الطباع ومقتضاه. إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص.

وبمجالسة السيئين والأشرار تستقل أعمالك السيئة وتتجرأ على المعاصي والكبائر:

فإذا تناول شخص سيجارةً فإنه قد يحزن ويتألم لكونه وسط قومٍ من أهل الصلاح لا يقتربون من تلك السجائر، بل ويتأذون برائحتها، أما إذا جالس قومًا يشربون الخمر فإنه يستقل تناول السجائر بالنسبة لصنيعهم.

* وكذا إذا قبَّل رجلٌ امرأة لا تحل له فإنه يندم ويستغفر، أما إذا جالس قومًا من الزناة واستمع إلىٰ قصصهم وما يفعلون فإنه يستقل ما صنع بالنسبة لصنيعهم.

* ولذلك ففي «الصحيح»[1] عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها علىٰ عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

ولذا فإن من سلبيات السفر إلىٰ بلاد الكفار أن الذاهب إليها إذا رجع إلىٰ بلده ووجد منكرات في بلدته المسلمة فإنه يستقل ما يحدث في بلاده من منكرات بالنسبة إلىٰ ما رآه من منكر في بلاد الكفر ومن ثمَّ يقل عنده وازع الإنكار ويضعف فيه وازع التغيير والإصلاح.

وجليس السوء يُذكرك بالمعاصي، وبواطن السوء:

ويُعرّفك بالأشرار المفسدين ويضيع أوقاتك في الباطل ويشغلك عن ذكر الله وعن الصلاة.

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٩٤).

وجليس السوء يحسدك على مـا آتاك الله من الفضل ويتمنى زوال نعم الله عنك، بل ويسعى لذلك.

ومن أحب أهل الكفر والفسوق والعصيان حُشر معهم:

فكما قدمنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب»[1].

والمجادلة عن جلساء السوء ذنبٌ يُستغفر منه:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٩].

وقد ورد لهذه الآيات أسباب نزول ضعيفة الأسانيد نذكر منها فقط:

❊ ما أخرجه الطبري[2] من طريق قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر، وبَشير، ومُبَشِّر، وكان بشير رجلاً منافقًا، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله إلىٰ بعض العرب، ثم يقول: «قال فلان كذا»، و «قال فلان كذا»، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا الخبيث! فقال:

أو كُلَّمَا قالَ الرِّجالُ قَصِيدَةً ... أضْمُوا وقَالُوا: ابنُ الأُبَيْرِقِ قالها؟!

---

(١) صحيح، وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٢) الطبري (١٠٤١٦) وفي سنده محمد بن إسحاق مدلسٌ وقد عنعن، وفيه أيضًا عمر بن قتادة قال الحافظ فيه: مقبول.

قال: وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشأم بالدرمك، ابتاع الرجل منها فخصَّ به نفسه، فأما العيال، فإنما طعامهم التمر والشعير. فقدمت ضافطة من الشأم، فابتاع عمي رفاعة ابن زيد حملاً من الدرمك، فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح له: درعان وسيفاهما وما يصلحهما. فعُدِي عليه من تحت الليل، فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح. فلما أصبح، أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، تعلم أنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا، فذهب بسلاحنا وطعامنا! قال: فتحسَّسنا في الدار، وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرىٰ فيما نراه إلا علىٰ بعض طعامكم.

قال: وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرىٰ صاحبكم إلا لبيد بن سهل! رجلاً منا له صلاح وإسلام.

فلما سمع بذلك لبيد، اخترط سيفه ثم أتىٰ بني أبيرق فقال: والله ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة. قالوا: إليك عنَّا أيها الرجل فوالله ما أنت بصاحبها! فسألنا في الدار حتىٰ لم نشك أنهم أصحابها، فقال عمي: ياابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له!

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقلت: يا رسول الله، إن أهل بيت منا أهل جفاءٍ، عَمَدُوا إلىٰ عمي رفاعة فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردّوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: «**أَنْظُرُ فِي ذَلِكَ**».

فلما سمع بذلك بنو أبيرق، أتوا رجلاً منهم يقال له: «أسير بن عروة»، فكلموه في ذلك، واجتمع إليه ناس من أهل الدار، فأتوا رسول الله ﷺ

فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلىٰ أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بيِّنةٍ ولا ثَبَتٍ.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: «**أعمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبت!**» قال: فرجعت ولوددْتُ أنِّي خرجت من بعض مالي ولم أكلِّم رسول الله ﷺ في ذلك. فأتيت عمي رفاعة، فقال: ياابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ﴾ يعني: بني أبيرق ﴿ **وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ** ﴾ أي: مما قلت لقتادة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ** ﴾ أي: بني أبيرق ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ أي: إنهم إن يستغفروا الله يغفر لهم ﴿ **وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ قولهم للبيد ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ** ﴾ يعني: أسيرًا وأصحابه ﴿ **وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾.

فلما نزل القرآن، أتىٰ رسول الله ﷺ بالسلاح فردَّه إلىٰ رفاعة.

قال قتادة: فلما أتيتُ عمي بالسلاح، وكان شيخًا قد عسا في الجاهلية، وكنت أرىٰ إسلامه مدْخولاً، فلما أتيته بالسلاح قال: ياابن أخي، هو في سبيل الله، قال: فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا. فلما نزل القرآن، لحق بشير بالمشركين، فنزل علىٰ سلافة ابنة سعد بن شُهَيد، فأنزل الله فيه:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء: ١١٥، ١١٦].

فلما نزل علىٰ سلافة، رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر، فأخذت رحله فوضعته علىٰ رأسها، ثم خرجت فرمت به في الإبطح، ثم قالت: أهديت إليّ شعر حسان! ما كنت تأتيني بخير!

والمُعرِض عن الأصدقاء الصالحين تستهويه الشياطين وتحيط به وبمجلسه:

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣] أي تدفعهم إلىٰ المعاصي دفعًا وتسوقهم إليها سوقًا.

وعداوة أهل الشر وجلساء السوء لبعضهم ثابتة يوم يقوم الأشهاد:

وقد قال ربنا سبحانه وتعالىٰ: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

* ويقول الله عزَّ وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾ [الأحزاب: ٦٧ـ٦٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ

قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٤-١٠١].

وجليس السوء يتخلى عن صديقه يوم الحساب:

قال أهل الكفر: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

ومع أن الكافر يرىٰ صديقه يوم القيامة لكن لا يملك له نصراً، قال تعالىٰ: ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١].

أي مع أن الحميم يرىٰ حميمه يوم القيامه ويبصره ويعرفه لكنه لا يسأله شيئًا إذ هو يعلم مسبقًا ما الجواب.

وأصدقاء السوء يتلاعنون في الآخرة:

قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وهذه مجالس أيضًا ينبغي أن تُتقى وتُعتزل:

مجالس الباطل والشرك والزور والبهتان:

قال تعالىٰ في شأن أهل الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقد قال تعالىٰ في شأن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

في أحد الوجوه للمفسرين: لا يحضرون مجالس الشرك.

* فتلك المجالس التي يُشرك فيها بالله عزَّ وجل، ويُدعىٰ فيها غيره ويُعبد فيها من سواه، ويُطلب المدد والعون والغوث من غير الله، تلك مجالس يجب اعتزالها والبعد عنها، فلا يحل لأحدٍ أن يجلس فيها إلا كمُذكِّرٍ يذكِّر ببطلانها، ويُذَكِّر بحقوق الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ويحذِّر من الشرك به وتجاوز حدوده وانتهاك حرماته.

إن النبي ﷺ أتاه رجلٌ فقال: يا رسول الله إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: «هلْ كانَ فيهَا وثنٌ منْ أوثان الجاهلية يعبدُ»؟ قالوا: لا، قال: «هلْ كانَ فيها عيدٌ منْ أعيادهمْ»؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: «أوفِ بنذركَ، فإنهُ لا وفاءَ لنذر في معصية الله، ولا فيمَا لا يملكُ ابنُ آدمَ»[1].

وكذا فَلْتُتَّقَ مجالس البدع والخرافات والإحداث في الدين، وكذا مجالس الإثم والفسوق والعصيان:

تلك المجالس التي تُشرب فيها الخمور وتُنتهك فيها الأعراض، ويُستطال فيها علىٰ العباد فلا شك أن الجلوس في تلك المجالس لا يأتي بخير، فترىٰ فيها ما يسوؤك وتسمع فيها ما لا يسرُّك.

وكذا فَلتتقِ مجالس المعازف والمزامير التي استحلها أقوام، ومجالس

(١) أبو داود (حديث ٣٣١٣) وسنده صحيح وله شواهد. انظر سنن أبي داود (٣٣١٤، ٣٣١٥) وابن ماجه (٢١٣١).

الغيبة والنميمة ؛ تلك المجالس التي تؤكل فيها لحوم الميتة وتُلتهم فيها الجيف، وقد علم أهلها قول ربهم سبحانه : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وكذا مواطن الفتن كالمسارح والملاهي والسينمات، وتلكم التجمعات التي تكتظ بالشر وتمتلئ بالمنكرات والموبقات، وتثمر ثمراً خبيثًا في القلب والفؤاد، وتلوث الأسماع والأبصار.

وكذا فلتتقِ مجالس الجدل الذي لا فائدة فيه ولا طائل تحته:

وتلك المجالس التي يضيع أهلها أثمن وأغلىٰ أوقاتهم سفاسف الأمور كمن يشجعون الكرة ويجادلون عن فريقٍ من الفرق ويخرجون من ذلك بصدورٍ موغَرَة، وقلوب قلقة مضطربة وعداوات لا سبب لها ولا حامل عليها إلا الطيش وخفة العقل وانهزام النفس واستزلال الشيطان.

ولتتقِ مجالس المترفين الفسقة، تلكم المجالس التي تورث الكبر والغرور وتحمل على الفسق والطغيان:

وتجعل الشخص دائم التطلع إلىٰ ما في أيدهم - ومن ثم لا يقدم شكراً لخالقه وبارئه ورازقه.

وأي شخصٍ يصرفُ عن طاعة الله عزَّ وجل، وكذا أي مكان يصرف عن ذلك ينبغي أن يُهجر، وأن يُتقى ويبتعد عنه:

قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦، ٥٧].

فذكَّر الله سبحانه وتعالىٰ بالموت حتىٰ يهون فراق موطن المعصية وجليس السوء علىٰ كل عبدٍ مسلمٍ مؤمن.

وكذا فلتتقِ المجالس التي يُثار فيها كلامٌ لا فائدة فيه:

فإن النبي ﷺ قد قال: «**إنَّ اللهَ كرهَ لكمْ قيلَ وقالَ وكثرة السؤال...**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام كذلك: «**منْ كانَ يؤمنُ باللّه واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً أو ليصمتْ**»(٢).

وقد قال تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: «**منْ صمتَ نجَا**»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وهلْ يكبُّ الناس على وجوههمْ في النَّارِ إلا حصائد ألسنتهمْ**»(٤).

كراهة الجلوس في الطرقات إلا لمن أدى حقها:

أخرج البخاري ومسلم(٥) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**إياكمْ والجلوسَ في الطرقات**» قالوا: يا رسول الله؛ ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتمْ إلا المجلسَ، فأعطُوا الطَّريق حقهُ**» قالوا: وما حقه؟ قال: «**غَضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عنِ المنكرِ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٢) ومسلم (٥٩٣، ١٣٤١).

(٢) البخاري (حديث ٦٤٧٥) ومسلم (حديث ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) حسن أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (٣٤٥) وأحمد (٣ / ١٥٨، ١٧٧).

(٤) صحيح لشواهده، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وانظر شاهده عند الحاكم (٤ / ٢٨٦).

(٥) البخاري (حديث ٢٤٦٥، ٦٢٢٩) ومسلم (حديث ٢١٢١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ [١]:

قوله: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**» في حديث أبي طلحة الأولى والثانية وزاد: «**وحسن الكلام**»، وفي حديث أبي هريرة الأولى والثالثة وزاد: «**وإرشاد ابن السبيل وتشميت العاطس إذا حمد**» وفي حديث عمر عند أبي داود، وكذا في مرسل يحيى ابن يعمر من الزيادة: «**وتغيثوا الملهوف وتهدوا الضال**»، وهو عند البزار بلفظ: «**وإرشاد الضال**»، وفي حديث البراء عند أحمد والترمذي: «**اهدوا السبيل وأعينوا المظلوم وأفشوا السلام**» وفي حديث ابن عباس عند البزار من الزيادة: «**وأعينوا على الحمولة**». وفي حديث سهل بن حنيف عند الطبراني من الزيادة «**ذكر الله كثيرًا**» وفي حديث وحشي بن حرب عند الطبراني من الزيادة: «**واهدوا الأغبياء وأعينوا المظلوم**» ومجموع ما في هذه الأحاديث أربعة عشر أدبًا وقد نظمتها في ثلاثة أبيات وهي:

جَمَعْتُ آدَابَ مَنْ رَامَ الجُلُوسَ عَلَى الـ ... ـطَّرِيقِ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الخَلْقِ إِنْسَانَا

أَفْشِ السَّلَامَ فِي الكَلَامِ وَشَمِّتْ ... عَاطِسًا وَسَلَامًا رُدَّ إِحْسَانَا

فِي الحَمْلِ عَاوِنْ وَمَظْلُومًا أَعِنْ وَأَغِثْ ... لَهْفَانَ وَاهْدِ سَبِيلاً وَاهْدِ حَيْرَانَا

بِالعُرْفِ مُرْ وَانْهَ عَنْ نُكْرٍ وَكُفَّ أَذًى ... وَغُضَّ طَرْفًا وَأَكْثِرْ ذِكْرَ مَوْلَانَا

وقد اشتملت على معنى علة النهي عن الجلوس في الطرق من التعرض للفتن بخطور النساء الشواب وخوف ما يلحق من النظر إليهن من ذلك، إذ

---

(١) فتح الباري (شرح حديث ٦٢٢٩).

لم يمنع النساء من المرور في الشوارع لحوائجهن، ومن التعرض لحقوق الله وللمسلمين مما لا يلزم الإنسان إذا كان في بيته وحيث لا ينفرد أو يشتغل بما يلزمه، ومن رؤية المناكير وتعطيل المعارف، فيجب على المسلم الأمر والنهي عند ذلك، فإن ترك ذلك فقد تعرض للمعصية، وكذا يتعرض لمن يمر عليه ويسلم عليه فإنه ربما كثر ذلك فيعجز عن الرد على كل مار، ورده فرض فيأثم.

والمرء مأمور بأن لا يتعرض للفتن وإلزام نفسه ما لعله لا يقوى عليه، فندبهم الشارع إلى ترك الجلوس حسمًا للمادة، فلما ذكروا له ضرورتهم إلى ذلك لما فيه من المصالح من تعاهد بعضهم بعضًا ومذاكرتهم في أمور الدين ومصالح الدنيا وترويح النفوس بالمحادثة في المباح دلهم على ما يزيل المفسدة من الأمور المذكورة، ولكل من الآداب المذكورة شواهد في أحاديث أخرى.

ثم ذكر - رحمه الله تعالى - جملة من الشواهد.

هل العزلة أفضل أم الاختلاط بالناس؟

* قد ورد في هذا الباب حديث رسول الله ﷺ **«المسْلِمُ إذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاس وَيَصْبِرُ على أذاهُمْ خيرٌ مِنَ المسْلِمِ الذي لا يخالطُ النَّاس ولا يَصْبِرُ على أذاهمْ»**(١).

* وفي باب الاعتزال أخرج البخاري حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشكُ أنْ يكون خيرَ مال المسلمِ غنمٌ يتبعُ بها شعفَ الجبال ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن»**(٢).

وثمَّ أدلة أُخر كثيرة في هذا الباب.

أما بالنسبة للجواب على مسألة الباب، فها هي بعض أقوال العلماء فيه:

ذكر الخطابي في كتاب «العزلة» ـ كما نقل عنه الحافظ في «الفتح»: (١١ / ٣٣٣): أن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما، فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين، وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان: فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس، بشرط: أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو: ترك فضول الصحبة لما في ذلك من العيادة وشهود الجنازة ونحو

---

(١) صحيح، وقد أخرجه الترمذي (حديث ٢٥٠٧) وأحمد (٥ / ٣٦٥).
والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨) وغيرهم.

(٢) البخاري (حديث ١٩).

ذلك، والمطلوب إنما هو: ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بد له منه فهو أروح للبدن والقلب. والله أعلم.

وقال القشيري في «الرسالة»: طريق من آثر العزلة: أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس، فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع، والثاني شهوده مزية له على غيره، وهذه صفة المتكبر.

وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٣ / ٤٢): وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى؛ لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك. وقال قوم: العزلة أولى لتحقق السلامة، بشرط: معرفة ما يتعين.

وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى. وقال غيره: يختلف الأحوال فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة: من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح: من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي: من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هنا فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعُمّ من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

هذا، وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٢٥): هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟

فأجاب:

هذه المسألة ـ وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليًا، وإما حاليًا، فحقيقة الأمر: أن «الخلطة» تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة، وجماع ذلك: أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون علىٰ البر والتقوىٰ فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون علىٰ الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء، ونحو ذلك. هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجارًا، وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلىٰ انفراده بنفسه، إما في بيته كما قال طاووس: «نعم صومعة الرجل بيته؛ يكف فيها بصره ولسانه»، وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال، فهذا يحتاج إلىٰ نظر خاصٍّ كما تقدَّم.

أمر الله عز وجل بمجالسة الصالحين والاقتراب منهم

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣].

وهذه الآيات نزلت لما طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء من حوله حتى لا يجترئون على أهل الكبر بزعمهم فأنزل الله الآيات، ففي «الصحيح»[1] من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: فيَّ نزلت: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم. وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء.

وفي رواية أُخرى لمسلم أيضاً عن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ ستةُ نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجلٌ من هذيل، وبلالٌ، ورجلان لست أسميهما: فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع. فحدث نفسه.

---

(١) مسلم (حديث ٢٤١٣).

فأنزل الله عز و جل: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وكان هذا - أعني طلب أهل الشرك من الأنبياء طرد المؤمنين الضعفاء - كان أمراً مضطرداً، فقد قال قوم نوح لنوح عليه السلام ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ١١١-١١٥].

وقد عاتب الله عزَّ وجل نبيه محمداً ﷺ لما عبس وتولى في وجه عبد الله بن أم مكتوم لما أقبل علىٰ رسول الله ﷺ وكان عند النبي وجهاء قومه يقبل عليهم لدعوتهم فعرض له ابن أم مكتوم الأعمىٰ فأقبل عليهم الرسول ﷺ فعُوتب في شأنه بما ذكر الله في كتابه الكريم.

أخرج الترمذي[1] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت:

أنزل (عبس وتولىٰ) في ابن أم مكتوم الأعمىٰ، أتىٰ رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل علىٰ الآخر ويقول: «أترى بما تَقُولُ بأسًا»، فيقال لا، ففي هذا أنزل.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

وقد قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان: ١٥].

وهذا شيءٌ من فضل الحب في الله والتآخي في الله:

أخرج مسلم[2] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -

---

(١) الترمذي (حديث ٣٣٣١) وقال: هذا حديث غريب وأشار الترمذي إلىٰ رواية من رووه مرسلا.
(٢) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

عن النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ : «أنَّ رجُلاً زارَ أخًا لهُ في قرية أخرى فأرصدَ اللهُ لهُ على مدْرجته ملكًا فلمَّا أتى عليه قال: أينَ تريدُ؟ قالَ: أريدُ أخًا لي في هذه القرية، قالَ: هل لكَ منْ نعـمة تربُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أني أحـببتهُ في الله عزَّ وجلَّ قالَ: فإني رسولُ الله إليكَ بأَنَّ اللهَ قدْ أحبكَ كمَا أحببتهُ فيه».

وعند مسلم[١] أيضًا في «صحيحه»:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ : «إنَّ اللهَ يقولُ يومَ القيامـة: أينَ المتحابُّونَ بجلالي[٢] اليومَ أُظِلُّهم في ظِلِّي يَومَ لا ظلَّ إلا ظلِّي».

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ قال: «سبعـةٌ يظلهمُ اللهُ في ظله يومَ لا ظل إلا ظلُّه..» الحديث وفيه «ورجلانِ تحابَّا في اللَّه اجْتَمَعَا عَلَيْه وتفرّقَا عليه..».

وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ قال: «ثلاثٌ منْ كنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمان أنْ يكونَ اللهُ ورسـولهُ أحبَّ إليـه مما سـواهمَـا، وأنْ يحبَّ المرءَ لا يحـبـهُ إلا لله..» الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما أنا ـ والنبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ خارجان من المسجد

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٦٦).
(٢) قال النووي (٥ / ٤٣١) أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا.
(٣) البخاري (حديث ٦٦٠) ومسلم (حديث ١٠٣١).
(٤) البخاري (حديث ١٦) ومسلم (حديث ٤٣).
(٥) البخاري (حديث ٧١٥٣) ومسلم (ص٢٠٣٢ حديث ٢٦٣٩).

فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال: يا رسول الله متىٰ الساعة؟ فقال النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلمَ: «**ما أعددتَ لهَا؟**» فكأن الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة، ولكن أحب الله ورسوله قال: «**أنتَ معَ منْ أحببتَ**». قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**فإنكَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ**» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم.

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ فقال: يا رسول الله كيف ترىٰ في رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**المرءُ معَ منْ أحَبَّ**».

وعند أحمد[2] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وعلىٰ آله وسلم: «**أوسطُ عرَى الإيمانِ الحبُّ في الله والبغض في الله**».

وعند أحمد[3] في «المسند» من حديث أبي مسلم الخولاني قال: أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبي ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيء ردوه إلىٰ الفتىٰ ـ فتىٰ شاب ـ قال: قلت لجليس لي: من هذا قال هذا معاذ بن جبل قال: فجئت من العشي فلم يحضروا قال: فغدوت من الغد

---

(١) البخاري (حديث ٦١٦٩) ومسلم (حديث ٢٦٤٠).

(٢) أحمد (٤ / ٢٨٦) وهو صحيح بمجموع طرقه.

(٣) مسند الإمام أحمد (٥ / ٢٣٦) وهو صحيح بمجموع طرقه.

فلم يجيئوا فرحت فإذا أنا بالشاب يصلي إلىٰ سارية فركعت ثم تحولت إليه قال: فسلم فدنوت منه فقلت:

إني لأحبك في الله قال:

فدنىٰ إليه قال:

كيف قلت؟

قلت: إني لأحبك في الله قال: سمعت رسول الله - صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم - يحكي عن ربه يقول:

«المتحابونَ في اللَّه على منابرَ منْ نور في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه»

قال: فخرجت حتىٰ لقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ بن جبل فقال سمعت رسول الله - صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم - يحكي عن ربه عز وجل يقول:

«حقتْ محبتي للمتحابِّينَ فيَّ، وحقتْ محبتي للمتباذلينَ فيَّ، وحقتْ محبتي للمتزاورينَ فيَّ، والمتحابونَ في الله على منابرَ منْ نور في ظلِّ العرش يومَ لا ظلَّ إلا ظلهُ».

وعند الترمذي[1] بسند حسن من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول:

«قالَ اللَّه عزَّ وجلَّ: المتحابونَ في جَلالِي لهمْ منابر من نورٍ يغبطهمُ النبيونَ والشهداء».

---

(١) الترمذي (حديث ٢٣٩٠).

الآثار الطيبة لمجالسة الصالحين

«هم القومُ لا يشقى بهم جليسهم»

ومن بركة مجالسة الصالحين الذاكرين أن جليسهم - وإن كان خطَّاء - يُغفر له معهم، ففي «الصحيح»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:

«إنَّ لله تباركَ وتعالى ملائكة سيَّارةً فُضُلاً يتبعونَ مجالسَ الذكرِ فإذَا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا معهمْ. وحفَّ بعضهمْ بعضًا بأجنحتهمْ. حتَّى يملؤوا ما بينهمْ وبينَ السماءِ الدنيَا. فإذَا تفرقُوا عَرجُوا وصعدُوا إلى السماء. قالَ: فيسألهمُ اللهُ عزَّ وجل - وهُو أعلمُ بهم -: منْ أينَ جئتمْ؟ فيقولونَ: جئنا منْ عنْد عباد لكَ في الأرضِ، يسبحونكَ ويكبرونكَ ويهللونكَ ويحمدونكَ ويسألونكَ. قالَ: وماذَا يسألوني؟ قالُوا: يسألونكَ جنتكَ. قال: وهلْ رأوا جنَّتي؟ قالُوا: لا . أيْ رَبِّ! قالَ: فَكيفَ لوْ رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونكَ قالَ: وممَّ يستجيرونني؟ قالُوا: من نارك. يا رَبِّ! قَالَ: وهلْ رأوا ناري؟ قالُوا: لا. قالَ: فكيفَ لوْ رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونَك. قالَ فيقولُ: قدْ غفرْت لهمْ. فأعطيتهُم ما سألُوا وأجرتهُم مما استجارُوا. قالَ فيقولونَ: ربِّ! فيهُم فلانٌ. عبدٌ خطاءٌ. إنما مرَّ فَجلَسَ معهُم. قالَ فيقولُ: ولهُ غفرتُ. همُ القوم لا يشقى بهم جليسهم».

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٨٩).

«المرء مع من أحب»

فمن أحب أهل الصلاح حُشر معهم.

ففي «الصحيحين»[١] من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف ترىٰ في رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرءُ معَ منْ أحبَّ».

وعندهما[٢] أيضًا من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد. فلقينا رجلٌ عند سده المسجد. فقال: يا رسول الله! متىٰ الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «ما أعددتَ لهَا؟» قال: فكأن الرجل استكان. ثم قال: يا رسول الله! ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة. ولكني أحبُّ الله ورسوله. قال: «فأنتَ معَ منْ أحببتَ».

وتستفيد من الجليس الصالح العالم علمًا وصلاحًا وفقهًا، ومن الجليس الذاكر العابد عبادة وذكرًا:

أخرج البخاري[٣] من حديث أبي جحيفة - رضي الله عنه - قال:

آخىٰ النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء؛ فزار سلمان أبا الدرداء، فرأىٰ أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كل. قال: فإني صائمٌ. قال: ما أنا بآكل حتىٰ تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب

---

(١) البخاري (حديث ٦١٦٩) ومسلم (حديث ٢٦٤٠)، ونحوه عندهما من حديث أبي موسىٰ أيضًا مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٦١٧١) ومسلم (ص٢٠٣٣).

(٣) البخاري (حديث ١٩٦٨).

أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام. ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا.

فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له. فقال له النبي ﷺ: **«صدقَ سلمانُ»**.

فهذا أصل من أصول الاقتصاد يتعلمه أبو الدرداء من سلمان رضي الله عنه، ونتعلمه نحن كذلك.

ولذا فإن نبي الله موسى عليه السلام حرص على لقاء الخضر للتعلم منه:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بينمَا موسى في مَلإٍ منْ بني إسرائيلَ. إذْ جاءه رجلٌ فقالَ لهُ: هلْ تعلمُ أحدًا أعلمَ منكَ؟ قال موسى: لا. فأوحى اللهُ إلى موسى: بلْ عبدنَا الخضرُ: قالَ فسألَ موسىَ السبيلَ إلى لقيه. فجعَلَ اللهُ له الحوتَ آيةً. وقيلَ لهُ: إذا افتقدتَ الحوتَ فارجعْ فإنكَ ستلقاهُ. فسارَ موسى ما شاءَ اللهُ أنْ يسير. ثمَّ قالَ لفتاهُ: آتنا غداءنَا. فقالَ فتَى موسَى، حين سألهُ الغداءَ: أرأيتَ إذ أوينَا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيهُ إلا الشيطانُ أن أذكرَه. فقالَ موسى لفتاهُ: ذلكَ ما كنَّا نبغي. فارتدَّا على آثارهمَا قصصًا. فوجدَا خضرًا. فكانَ من شأنهما ما قصَّ اللهُ في كتابهِ»**.

وقد قال تعالىٰ: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

أي فلولا خرج فريقٌ من المسلمين مع رسول الله ﷺ في غزواته للاستفادة من علمه

(١) البخاري (حديث ٧٨) ومسلم (ص١٨٥٣).

وللتفقه في سنته وإنذار قومهم عند الرجوع إلىٰ بلادهم.

أو فلولا ترك فريق من المسلمين بلادهم وأتوا إلىٰ مدينة رسول الله ﷺ للتعلم منه ونقل العلم إلىٰ قومهم وتحذيرهم ونصحهم.

وجليسك الصالح يدعو لك ويستغفر لك:

أخرج البخاري[1] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد فقال: «**رحمهُ الله، لقدْ أذكَرنِي كذَا وكذا آيةً أسقطتهنَّ منْ سورة كذَا وكذَا**» وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة: «تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد فقال: يا عائشة، أصوت عباد هذا؟ قلت: نعم. قال: «**اللهمَّ ارحمْ عبَّاداً**».

والجليس الصالح يُذكر صاحبه بالله عزَّ وجل:

ألا ترىٰ أن الخوف لما اعترىٰ الصديق أبا بكر وهو مع الرسول ﷺ وهما في الغار ذكره النبي ﷺ بقوله ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾.

وفي الصحيح أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا قال: «**يا أبَا بكرٍ ما ظنكَ باثنينِ اللهُ ثالثهمَا؟**»[2].

وقال موسىٰ ـ عليه السلام ـ لأصحابه لما قالوا له ـ بعد أن تراءىٰ الجمعان ـ ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

---

(١) البخاري (حديث ٢٦٥٥).

(٢) أخرج البخاري (حديث ٣٦٥٣) ومسلم (حديث ٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

ويذكره أيضًا بكتاب الله عزَّ وجل:

فلذا كان أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - يختار أهل مشورته من حملة كتاب الله عزَّ وجل - يذكرونه دومًا بالله عزَّ وجل ويبينون له معانيه.

أخرج البخاري(١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هي ياابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزْل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزنا عمر حين تلاها عليه وكان وقَّافًا عند كتاب الله».

وأخرج البخاري(٢) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم. فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٤٢).
(٢) البخاري (حديث ٤٩٧٠).

أعلمه له قال: إذا جاء نصر الله والفتح - وذلك علامة أجلك - فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وأبو بكر يُذكر عمر - رضي الله عنهما - لما اعترى عُمر ما اعتراه يوم الحديبية بتذكرةٍ نافعة يطمئن بها قلبه - ويسكن بها غضبه؛ ففي «الصحيح»[1] عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كلَّ واحد منهما حديث صاحبه. . . فذكر الحديث وفيه قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا. فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «**بسمْ الله الرحمَنِ الرحيم**»، فقال سهيلٌ: أما «**الرحمنُ**» فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال النبي ﷺ: «**اكتبْ باسمك اللهمَّ**». ثم قال «**هذا ما قاضَى عليْه محمدٌ رسولُ اللَّه**» فقال سهيلٌ، والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب «محمد بن عبد الله»، فقال النبي ﷺ: «**واللَّه إني لرسولُ الله وإنْ كذبتموني، اكتبْ:محمدُ بنُ عبد الله**» قال الزهري: وذلك لقوله «**لا يسألونني خطةً يعظمونَ فيهَا حرمَات الله إلا أعطيتهم إياها**» فقال له النبي ﷺ: «**على أنْ تخلُوا بيننَا وبين البيت فنطوفَ به**». فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطَةً، ولكن ذلك من العَام المقبل، فكتب، فقال سهيلٌ: وعلىٰ أنه لا يأتيك منا رجلٌ - وإن كان علىٰ دينك - إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلىٰ المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتىٰ رمىٰ بنفسه بين

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ. فقال النبي ﷺ: «**إنَّا لمْ نقضِ الكتابَ بعدُ**». قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيءٍ أبداً. قال النبي ﷺ: «**فأجزهُ لي**» قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «**بلى فافعلْ**»، قال: ما أنا بفاعل. قالَ مكرزٌ: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقّاً؟ قال: «**بَلَى**». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «**بَلَى**». قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: «**إني رسولُ الله ولستُ أعصيه، وهوَ ناصِري**».

قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتكَ أنا نأتيه العامَ؟**» قال: قلت: لا. قال: «**فإنكَ آتيه ومطوِّفٌ بهِ**». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بِغَرْزِهِ فوالله إنه على الحق. قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوفٌ به. قال الزهري قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قُوموا فانحرواْ ثمَّ احلقُوا**». قال: فو الله ما قام منهم رجلٌ، حتى قال ذلك ثلاث مراتٍ، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك

فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتىٰ فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا. وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا.

وجليسك الصالح يحثك على أعمال البر والإحسان: ويُذكِرك ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين ويُنمي فيك مكارم الأخلاق من صدق الحديث وكرم السجايا والعفاف والصلة والشجاعة وقول الحق إلىٰ غير ذلك من مكارم الأخلاق.

وصديقك الصالح يدعو لك في غيابك ويرشدك في حضورك:

وينصحك إذا استنصحته، بل وإذا لم تستنصحه أيضًا، ويُصلي عليك بعد موتك ويستغفر لك.

ونبي الله زكريا ـ عليه السلام ـ استفاد من مريم ـ عليها السلام ـ كما أنها استفادت منه أيضًا:

فقد كفلها زكريا عليه السلام فتربت في بيت نبوةٍ طاهر مبارك كريم فاستفادت خُلقًا حسنًا وعبادةً وورعًا وعفةً وأمانة فأحصنت فرجها ـ عليها السلام ـ، ثم إن زكريا ـ عليه السلام ـ استفاد منها هو الآخر فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا فيسألها: أنىٰ لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فحملته وشجعته علىٰ الدعاء بالولد الصالح والذرية الطيبة، فقال ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٨، ٣٩].

فرُزق ـ عليه السلام ـ بيحيىٰ ـ عليه السلام ـ من توفيق الله له إذ رزقه

الدعاء ووفقه إليه.

فيا من رزقت مريم بغير حساب، ويا من مننت على زكريا ـ عليه السلام ـ ارزقنا بغير حساب، وهب لنا من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والجليس الصالح يمنعك من القيل والقال والخوض في الأعراض واغتياب المؤمنين والمؤمنات: وذلك لأنه لا يرضى لنفسه أن يستمع إلى غيبة مسلم، ولا يرضى لنفسه أن تؤكل لحوم إخوانه الميتين أمام عينه، لا يرضى ذلك لمن يُغتاب أو يغتاب، بل يحفظ هذا وذاك.

أما جليس السوء فلا يلوي على أحدٍ ولا يحفظ حرمة أحد فيرى لحوم إخوانه تؤكل فيتركها تؤكل بل ويشارك في أكلها وبشراهة، فتجده يطعن في هذا وذاك ويغتاب هذا وذاك، ويُغتاب إخوانه أمامه ولا يدافع.

فيبيت وقد انتفخت بطنه من لحوم الميتة ونهشه أعراض المسلمين.

والجليس الصالح يحنُّ لفراقك ويسأل عنك ويتفقد أحوالك، حتى أن الجذع قد حنَّ لفراق جليسه الصالح رسول الله ﷺ.

أخرج البخاري[1] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ:

أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه ـ فإن لي غلامًا نجارًا؟ قال: «إنْ شئْت»، فعملت له المنبر. فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت. قال:

---

(١) البخاري (حديث ٢٠٩٥).

«بكتْ على ما كانتْ تسمَعُ مِنَ الذكرِ».

أما أهل الظلم فما بكت عليهم السماء والأرض بل ومستراحٌ منهم بعد موتهم.

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه بجنازة فقال: «مستريحٌ ومستراحٌ منهُ». قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه، قال: «العبدُ المؤمن يستريحُ مِنْ نصبِ الدنيَا وأذاهَا إلى رحمةِ الله عزَّ وجلَّ، والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منهُ العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ».

والجليس الصالح يُعين صاحبه على ذكر الله ـ عزَّ وجل ـ وعلى طاعته:

ومن ثمَّ طلب موسىٰ عليه السلام من ربه عز وجل أن يُمدَّه بأخيه هارون، فقال ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

ومجالسة الصالحين تجعلك تستقل أعمال البر التي تعملها:

ومن ثمَّ تكثر وتزيد من أعمال البر والمعروف والعبادة والإحسان.

فإذا كنت تصلي ركعتين نافلة لك من الليل، ورأيت جليسك يُصلي أربعًا ويداوم علىٰ ذلك، فإنك تنشط لفعل ما يفعل.

وإذا تصدقت بدرهم أو درهمين، ووجدت من هو في مثل حالك يتصدق بخمسة دراهم أو بعشرة حملك صنيعه بلا شك علىٰ زيادة الصدقة

---

(١) البخاري (حديث ٦٥١٢) ومسلم (حديث ٩٥٠).

إن شاء الله .

فهذا عمر ـ رضي الله عنه ـ لما حثَّ رسولُ الله ﷺ على الصدقة خرج بنصف ماله فوجد أبا بكر قد جاء بماله كله .

أخرج أبو داود بإسنادٍ صحيح[١] عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : «أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتهُ يوماً فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ : «**ما أبقيت لأهلكَ؟**» فقلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ : «**ما أبقيتَ لأهلكَ؟**» قال : أبقيت لهم الله ورسوله : قلتُ : لا أسابقك إلى شيء أبداً» .

وجلساء الخير والصلاح يعرفونك بالصالحين ويجمعونك بهم ويدلونك عليهم:

أخرج مسلم[٢] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ، بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها : كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها : ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ . فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ . ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء . فهيجتهما على البكاء . فجعلا يبكيان معها .

والجليس الصالح يُعطي الأمل ويبين ثواب الله ـ عزَّ وجل ـ :

أخرج البخاري[٣] من طريق ابن أبي مليكة قال : «استأذن ابن عباس

---

(١) أبو داود (حديث ١٦٧٨) .

(٢) مسلم (حديث ٢٤٥٤) .

(٣) البخاري (حديث ٤٧٥٣) .

قبل موتها - على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يُثني عليّ، فقيل: ابنُ عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت. قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجةُ رسول الله ﷺ؛ ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير خِلافَه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، وددت أني كنت نسياً منسيًّا».

ومصاحبة الأخيار تحمل على التنافس في الخير:

وقد سبق في هذا الباب تنافس أبي بكر مع عمر - رضي الله عنهما - في إخراج الصدقة لما حثَّ عليه رسول الله ﷺ وهذا أيضاً نوع آخر من تنافسهما في زفِّ البشارات للمسلمين

أخرج الإمام أحمد[1] بإسنادٍ صحيح لشواهده من حديث ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو بين أبي بكر وعمر وإذا ابن مسعود يصلي وإذا هو يقرأ «النساء» فانتهى إلى رأس المائة فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائمٌ يصلي فقال النبي ﷺ: «**اسأل تعطَه اسألْ تعطَه**» ثم قال: «**منْ سَرَّه أنْ يقرأَ القرآنَ غضا كمَا أُنْزلَ فليقرأهُ بقراءة ابن أُمِّ عبد**». فلما أصبح غدا إليه أبو بكر - رضي الله عنه - ليبشره وقال له: ما سألتَ الله البارحة؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة محمد في أعلى جنة الخلد. ثم جاء عمر - رضي الله عنه - فقيل له: إن أبا بكر قد سَبَقَك. قال يرحم الله أبا بكر ما سبقتُه إلى خير قط إلا سبقني إليه.

وكذا فإن مصاحبة الأخيار تحمل على التأسي بهم والاقتداء حتى في

(١) أحمد (المسند ١ / ٤٥٤).

سمتهم وهديهم وطريقة مشيهم، فهذا عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لكثرة ملازمته لرسول الله ﷺ يقتبس من هديه ويتخلق بأخلاقه.

أخرج البخاري[١] من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال: «سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتىٰ نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحداً أقرب سمتًا وهديًا ودلا بالنبي ﷺ من ابن أمِّ عبد».

وهذا عبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة: يتأسىٰ بصاحبيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة، ويتقدم فيقتل شهيداً كما قتلا.

أورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري أثراً وعزاه إلىٰ سعيد بن منصور في «السنن»، قال سعيد: حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال[٢] أنه بلغه أن ابن رواحة.. فذكر شعراً له، قال: فلما التقوا أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتىٰ قتل، ثم أخذها جعفر فقاتل حتىٰ قتل، ثم أخذها ابن رواحة فحاد حيدةً فقال:

أقسمت يا نفس لتنزلنَّهْ كارهةً أو لتطاوعنَّهْ

مالي أراك تكرهين الجنة

وقال ابن إسحاق[٣] (كما في السيرة لابن هشام): وحدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد[٤]

قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرَّة بن عوف، قال:

---

(١) البخاري (حديث ٣٧٦٢).

(٢) «الفتح» شرح حديث (٤٢٦١)، والخبر المذكور مرسل.

(٣) «السيرة» لابن هشام (ج٤ ص١٤، ١٥).

والسند المذكور حسن من أجل ابن إسحاق.

(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ١٤، ١٥).

فلما قُتل جعفر أخذ - عبد الله بن رواحة - الراية وتقدَّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردَّد بعض التردّد، ثم قال:

أقسَمْتُ يا نفسُ لتنزلنهْ ... لَتَنْزِلنَّ أوْ لتُكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَبَ الناسُ وشدّوا الرنَّهْ ... مَالي أرَاكِ تَكْرَهِينَ الجنَّة
قَدْ طَال مَا قدْ كُنْتِ مُطمئنهْ ... هَلْ أنْتِ إلا نُطْفَةٌ فِي شَنَّة

وقال أيضًا:

يَا نَفْسُ إلا تُقْتَلي تَمُوتِي ... هَذا حمَامُ المَوْت قَدْ صَلِيت
وَمَا تمنيْتِ فَقَدْ أُعْطِيت ... أنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيت

يريد صاحبيه: زيدًا، وجعفرًا، ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمٍّ له بعَرْق من لحم فقال: شُدّ بهذا صُلْبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذا ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس[1] منه نهْسَة، ثم سمع الحطْمَة[2] في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدمّ، فقاتل حتى قُتِل.

وللصالحين مجالس فاحرص على الجلوس فيها وأكثر من ذلك:

من أعظم وأفضل تلك المجالس بيوت الله عزَّ وجل:

قال تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

---

(١) انتهس أخذ اللحم بأسنانه (بمقدمة أسنانه).

(٢) الحطمة: كسر الناس لبعضهم.

ففيها تتنزل الرحمات وتصلي الملائكة على الجالسين فيها وتستغفر لهم وتسأل الله لهم الرحمة.

وفيها تأتي البشارات.

فالملائكة قد نادت زكريا - عليه السلام - وبشّرته ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

والزيارات في الله، ومجالسة الصالحين الفقراء ومواساتهم والسؤال عنهم كل ذلك يورث تواضعًا وإخباتًا وانكسارًا لله - عز وجل -:

وكذا مجالسة أهل الابتلاءات كالمرضى والمدينين والفقراء والمساكين وزيارة الأرامل والأيتام في كل ذلك خير، ولكل من ذلك أثره على القلب.

ومن الحرص على مجالسة الصالحين:

قول نبينا ﷺ: «**ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**».

ففي «الصحيحين»(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ سَهِرَ، فلما قدِمَ المدينة قال: «**ليت رجلاً من أصحابي صالحًا يحرسني الليلة**»، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: «**من هذا؟**»، فقال: أنا سعدُ بن أبي وقاص جئتُ لأحْرسك فنام النبي ﷺ».

وهذا عليُّ بن الحسين - رحمه الله تعالى - وهو من العلم والفضل والورع والدين بمكان كريم، فهو زين العابدين من آل بيت رسول الله ﷺ، وهو حفيده - رحمه الله تعالى - يتخطى مجالس قومه حتى يجلس مع زيد بن

---

(١) البخاري (حديث ٢٨٨٥) ومسلم (حديث ٢٤١٠).

أسلم يتعلم منه ويستفيد، ولا يُبالي بكلام الناس، فزيد بن أسلم مولىٰ من الموالي.

ففي «سير أعلام النبلاء» في ترجمته هنالك:

ابن سعد، عن عليٍّ بن محمد، عن علي بن مجاهد، عن هشام بن عروة، قال: كان عليُّ بن الحسين يخرج علىٰ راحلته إلىٰ مكة ويرجع لا يقرعها، وكان يجالس أسلم مولىٰ عمر، فقيل له: تدع قريشًا، وتجالس عبد بني عدي! فقال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع.

وعن عبد الرحمن بن أردك - يقال هو - أخو عليٍّ بن الحسين لأمه - قال: كان عليُّ بن الحسين يدخل المسجد، فيشقُّ الناس حتىٰ يجلس في حلقة زيد ابن أسلم، فقال له نافع بن جبير: غفر الله لك، أنت سيد الناس، تأتي تتخطىٰ حتىٰ تجلس مع هذا العبد! فقال عليُّ بن الحسين: العلم يبتغىٰ ويؤتىٰ ويطلب من حيث كان.

وكذا فاحرص على مجالس القرآن، فأهل القرآن هم أهل الله وخاصته:

كما قال النبي ﷺ: «إنَّ للَّه عزَّ وجلَّ أهلينَ من الناسِ» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهلُ القرآنِ همْ أهلُ الله وخاصته»(١).

ومجالسهم تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة وتتنزل عليها السكينة، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ منْ بيوتِ الله يتلونَ كتابَ الله ويتدارسونَه بينهُمْ إلا

(١) أحمد في المسند (٣ / ١٢٧) بسندٍ حسن من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

نزلتْ عليهم السكينةُ وغشيتهُم الرحمةُ وحفتهـمُ الملائكةُ وذكرهمُ اللهُ فيمنْ عنده»(١).

ومجالسهم تحمل على التنافس في الخير، وهذا تنافس وتحاسدٌ محمود في اثنتين، رجل علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل...»(٢).

هذا فضلاً عن كونها مجالس الربانيين، قال تعالىٰ ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران: ٧٩].

وفضلاً عن كونها مجالس الخيّرين كما قال عليه الصلاة والسلام: «خيركُم منْ تعلَّمَ القرآنَ وعلمه» (٣). وفي رواية: «إنَّ أفضلكُمْ منْ تعلم القرآنَ وعلَّمهُ»(٤).

وكذلك فمجالسٌ تتعلم فيها سنة رسولك محمد ﷺ يُنضِّر الله بها الوجوه:

كما قال عليه الصلاة والسلام «نضَّر اللهُ امرأً سمعَ مقالتِي فوَعَاهَا ثمَّ أداهَا كمَا سمعهَا»(٥).

تلكم المجالس التي تتخللها صلوات وتسليمات علىٰ رسول الله ﷺ تجلب لك صلوات ربك وتسليماته، وكذا فالنبي ﷺ يردُّ عليك مصلِّيًا مُسلِّمًا.

---

(١) مسلم مع النووي (١٧ / ٢١).
(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ٩ / ٧٣).
(٣) البخاري (مع الفتح ٩ / ٧٤).
(٤) البخاري (مع الفتح ٩ / ٧٤).
(٥) صحيح متواتر.

أخرج أحمد وأبو داود بسندٍ حسن واللفظ لأبي داود من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:

«ما من أحدٍ يُسلِّم عليَّ إلا ردَّ اللهُ عليَّ روحِي حتَّى أرُد عليهِ السلامَ» [١].

وكذا فاحرص على مجالس العلم والفقه:

يُقبل الله عز وجل عليك إذا أقبلت على تلك المجالس، أما إذا أعرضت عنها فسيعرض عنك ربك سبحانه وتعالى، ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي واقد الليثي- رضي الله عنه- في قصة الثلاثة نفرٍ الذين أتوا ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، في هذا الحديث فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحدٌ. قال فوقفا على رسول الله ﷺ.

فأمَّا أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم. وأما الثالث فأدبر ذاهبًا. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركمْ عن النفَر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى اللَّه، فآواهُ اللهُ وأمَّا الآخرَ فاستحْيَا، فاستحيَا اللهُ منهُ. وأمَّا الآخرَ فأعرضَ، فأعرضَ اللَّهُ عنهُ»**[٢].

ولذا فمن علامات إرادة الخير بك أن توفق للفقه في الدين.

قال النبي ﷺ **«منْ يردْ اللهُ بهِ خيراً يفقهُه في الدينِ»**[٣].

---

(١) أحمد (٤/ ١٤٤، ١٥٣)، وأبو داود (٢/ ٥٣٤).

(٢) وسيأتي إن شاء الله.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

وكذا مجالس الإصلاح بين الناس والتناجي بالخير، مجالس نافعة جالبةٌ للخيرات:

قال الله تبارك وتعالىٰ ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] فضلاً عن كون المقسطين الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلُوا، علىٰ منابر من نورٍ يوم القيامة.

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المقسطينَ، عندَ الله، على منابرَ منْ نُورٍ. عنْ يمينِ الرحمنِ عزّ وجلَّ. وكلتاَ يديْهِ يمينٌ، الذينَ يعدلُون فِي حكمهِمْ وأهليهمْ وما ولُوا»[(٢)].

ومجالس المرضى لمؤانستهم والتخفيف عنهم مجالس خيرٍ وبركة:

أخرج مسلم - رحمه الله - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يقولُ، يومَ القيامَةَ: يا بنَ آدمَ! مرضتُ فلمْ تعدنِي. قالَ: يا ربِّ! كيفَ أعودكَ؟ وأنتَ ربّ العالمينَ. قالَ: أما علمتَ أنَّ عبدي فلانًا مرضَ فلمْ تعده. أما علمتَ أنكَ لوْ عدتهُ لوجدتني عنده؟ يا ابنَ آدم! استطعمتُك فَلمْ تطعمنِي. قالَ: يا رب وكيفَ أطعمكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ قالَ: أما علمتَ أنهُ استطعمكَ عبدي فلانٌ فلمْ تطعمهُ؟ أما علمتَ أنك لو أطعمتهُ لوجدتَ ذلكَ عنْدي؟ يا بنَ آدَمَ! استسقيتك فلم تسقني: قال: يا رب؛ كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقَاكَ عبدِي فُلانٌ فلمْ تسقه. أما إنكَ لوْ سقيتَه وَجَدتَ ذلكَ عنْدي».

---

(١) مسلم (حديث ١٨٢٧).

(٢) (ولوا): أي كانت له عليهم ولاية.

فهكذا ينبغي أن يكون المسلم الذي يريد لقلبه السلامة ينبغي أن يكثر من مجالسة الفقراء والمساكين - خاصة من أهل الصلاح - ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم حتىٰ يذكر نعم الله عليه؛ فيحيا قلبه بحمد الله إذا رأىٰ أهل البلاء، ويحيا قلبه بالتعوذ بالله من البلاء، ويحيا قلبه بدعوة صالحة يدعو له به أهل الفقر والمسكنة والحاجة، ويحيا قلبه بشكر الله - عز وجل - لصنيعه.

وقد ذكرنا في كتابنا «شفاء القلوب» أن:

من الخطأ والخلل ومسببات الأذىٰ للقلب أن يُقصر الشخص جلوسه ومحادثته علىٰ أهل المناصب والجاه والثراء، فإن هذا يورثه التطلع إلىٰ ما هم فيه، والتطلع إلىٰ من هم أعلىٰ منه، والنظر إلىٰ من هم أغنىٰ وأثرىٰ منه، ومن ثمَّ لا يستقر قلبه ولا يهدأ له بال، ويكون دائم التطلع والنظر إلىٰ من هم فوقه فلا يشبع ولا يكاد يشبع، ومن ثمَّ قال رسولنا ﷺ: **«إذَا نظرَ أحدكمْ إلى منْ فُضِّلَ عليهِ في المالِ والخَلقِ فلينظرْ إلى منْ هُوَ أسفلَ منه ممنْ فُضِّلَ عليهِ»**[1].

وفي رواية[2]: **«انظروا إلى منْ أسفل منكمْ ولا تنظرُوا إلى منْ هُو فوقكمْ فهو أجدُر أن لا تزدرُوا نعمةَ الله»**، وفي رواية: **«عليكم»**.

فإذا حرص الشخص علىٰ مجالسة أهل المناصب والأموال فقط أورثه ذلك دوام التطلع، وازدراء النعم عليه، ومن ثمَّ لا يشكر ولا يكاد يشكر،[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

(٢) هذه الرواية عند مسلم.

(٣) قال الترمذي (٥/ ٤٧٧ مع تحفة الأحوذي): ويروىٰ عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: صحبت الأغنياء فلم أر أحداً أكثر همًّا مني، أرىٰ دابة خيراً من دابتي وثوباً خيراً من ثوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت. =

لكن إذا جالس من هم دونه رضي بما آتاه الله وقنع به ومن ثمَّ هدأ قلبه واستراح ضميره وفؤاده، وليس معنى ذلك دنو الهمة، بل يبذل العبد ما في وسعه لنيل الحلال الطيب، ويكون راضيًا بقضاء الله وقسمته واختياره، ومن ثمَّ صح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: شر الطعام طعام الوليمة يُدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء[1].

فينبغي إذا صنع الرجل وليمة أن يدعو إليها أيضًا الفقراء والمحاويج مع الأغنياء، فربَّ فقير صالح تصدر منه دعوة طيبة يستجيب الله لها ويكرم بها العبد.

وعمومًا فإن مجالس الخير وتكثير سواد المسلمين وحضور دعوتهم يستحب شهودها:

ففي «الصحيح»[2] من حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**يخرج العواتق وذوات الخدور والحُيَّض وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين ويعتزل الحُيَّض المُصلَّى**» وهذا لصلاة العيد.

= قلت: وصدق عونٌ فيما ذكر، فالشخص يرتدي ثوبًا مثلاً بخمسة عشر ريالاً، ثوبًا جديداً ونظيفًا ولكنه يجالس أقوامًا يرتدي أحدهم ثوبًا بمائة ريال، فيزدري ثوبه إلى ثيابهم ويحتقر ثوبه أمام أثوابهم، فينسى الشكر وينسى الحمد.

أما إذا جالس هذا الرجل أقوامًا فقراء، ثيابهم بعشرة ريالات بل ثيابهم مرقعة، ونظر إلى ثوبه استراح قلبه وشكر نعمة الله عليه.

(١) أخرجه البخاري ومسلم موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه، وقد جاء هذا الخبر مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ كما عند مسلم.

فرواه البخاري (٥١٧٧) ومسلم (١٤٣٢) وغيرهما من طريق الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة. والصواب فيه أنه من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البخاري (حديث ٣٢٤).

والشخص يُكرم بمجالسة الصالحين، ويُنصر بهم بإذن الله:

أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على النَّاس زمانٌ فيغزُو فئَامٌ من النَّاس فيقولونَ: فيكم منْ صاحب رسول اللَّه ﷺ؟ فيقولونَ لهمْ: نعمْ فيُفتحُ لهمْ ثمَّ يأتي على الناسِ زمانٌ فيغزُو فئامٌ من الناسِ فيقالُ: فيكُم منْ صاحبَ أصحابَ رسولَ اللَّه ﷺ؟ فيقولونَ: نعمْ فيُفتحُ لهمْ. ثمَّ يأتِي على النَّاس زمَانٌ فيغزُو فئامٌ منَ الناسِ فيقالُ: هلْ فيكمْ منْ صاحبَ من صاحبَ أصحابَ رسول الله ﷺ فيقولونَ: نعمْ فيُفتَحُ لهمْ».

وأخرج ابن أبي شيبة (٢) بإسنادٍ حسن عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالونَ بخير مَا دامَ فيكم منْ رآني وصاحبني، واللَّه لا تزالُونَ بخير ما دامَ فيكمْ منْ رأى منْ رآني وصاحبَ من صاحبني» حسن.

والجليس الصالح سببٌ في نصر الله وتأييده لك:

أخرج مسلم في «صحيحه»(٣) من حديث أبي موسىٰ - رضي الله عنه - قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتىٰ نصلي معه العشاء! قال: فجلسنا. فخرج علينا فقال: «ما زلتُمْ هَا هُنا؟» قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتىٰ نصلي معك العشاء قال: «أحْسَنتُم: أوْ أصبتُمْ» قال: فرفع رأسه إلىٰ السماء، وكان كثيراً مما يرفعُ رأسه إلىٰ السماء فقال: «النجومُ أمَنَةٌ للسماء فإذا ذهبت النُّجومُ أتى السماءَ ما

(١) البخاري (حديث ٣٦٤٩) ومسلم (حديث ٢٥٣٢).

(٢) المصنف (١٢ / ١٧٨).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٣١).

تُوعَدُ، وأنا أمَنَةٌ لأصحَابِي فإذَا ذهبتُ أتى أصحَابِي ما يُوعدونَ، وأصحَابي أمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهبَ أصحابِي أتى أمتِي ما يُوعدُونَ».

ومن فوائد مجالسة الصالحين أنك تنكفُّ عن الذنوب والمعاصي حياءً منهم ورعاية لصحبتهم:

أخرج مسلم[١] في «صحيحه» من حديث أبي مسعود البدري - رضي الله عنه - قال: كنت أضربُ غلامًا لي بالسوط فسمعت صوتًا من خلفي «اعلم، أبا مسعود!» فلم أفهم الصوت من الغضب. قال: فلما دنا مني، إذا هو رسول الله ﷺ. فإذا هو يقول: «**اعلمْ، أبا مسعود اعلمْ، أبا مسعُود**» قال: فألقيت السوط من يدي. فقال: «**اعلمْ، أبا مسعُود! أنَّ اللهَ أقدرُ عليكَ منكَ على هذَا الغلامِ**» قال: فقلت: لا أضربُ مملوكًا بعده أبدًا.

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم أيضًا أن أبا مسعود قال: كنت أضرب غلامًا لي. فسمعت من خلفي صوتًا «**اعلمْ، أبا مسعُود؛ لَلَّهُ أقدرُ عليكَ منكَ عليه**» فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسولَ الله هو حرٌّ لوجه الله. فقال: «**أما لو لمْ تفعلْ، للفحتكَ النارُ - أو: لمستكَ النارُ**».

والشيطان يرهب مجالس الصالحين ويخشاها ويعبث بالمبتعدين عنها:

أخرج الإمام أحمد[٢] وغيره بسند يصحح بمجموع طرقه من حديث عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكرِموا أصْحَابي...**» فذكر الحديث وفيه «**فمنْ سرَّه بحبوحَة الجنةِ فعليه بالجماعةِ، فإن الشيطانَ معَ الفذِّ،**

---

(١) مسلم (حديث ١٦٥٩).

(٢) أحمد في المسند (١ / ٢٦)، وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٢٣) واللفظ له.

وهوَ من الاثنينِ أبعدُ...»

وله شاهد من حديث معاذ مرفوعًا: «الشيطانُ ذئبُ ابنِ آدمَ كذئب الغنمِ، وإنَّ ذئبَ الغنمَ يأخذُ من الغنم الشاةَ المهزولةَ والقاصيةَ ولا يَدْخُلُ فِي الجماعةِ، فالزموا العامةَ والجماعةَ والمساجدَ»[١].

ومجالسة الصالحين فيها شرفٌ لمن جالسهم:

فنبي الله ﷺ خير نبي، ومن ثمَّ فقرنه خير القرون وأمته خير الأمم، وقد ارتفع ذكرهم بصحبتهم له ومجالستهم معه، وكذا أصحاب كل نبي وصالح وعالم وشهيد وإمام.

وهذا أبو الدرداء - رضي الله عنه - يُذكر أهل الكوفة بفضل الله عليهم في تواجد ابن مسعود وعمار وحذيفة - رضي الله عنهم - بينهم، ففي «الصحيح»[٢] من طريق علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت: اللهم يسر لي جليسًا صالحًا.

فأتيت قومًا فجلست إليهم. فإذا شيخ قد جاء حتىٰ جلس إلىٰ جنبي.

قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء. فقلت إني دعوت الله أن ييسر لي جليسًا صالحًا فيسرك لي. قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة قال: «أوليس عندكم ابن أم[٣] عبد صاحبُ النعلين والوساد والمطهرة؟ أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان - يعني علىٰ لسان نبيه[٤] ﷺ؟ أوليس فيكم صاحب سرِّ النبيِّ ﷺ الذي لا يعلم أحدٌ غيره»[٥].

---

(١) عبد بن [illegible] في «المنتخب» (حديث ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (أثر ٣٧٤٢).

(٣) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) هو عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

(٥) هو حذيفة رضي الله عنه.

والمُقبل على مجالس الخير وأهل الصلاح يُقبل الله عليه:

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد والناس معه. إذ أقبل نفرٌ ثلاثةٌ. فأقبل اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ. وذهب واحدٌ. قال فوقفا علىٰ رسول الله ﷺ. فأمَّا أحدهما فرأىٰ فرجةً في الحلقة فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم. وأما الثالث فأدبر ذاهبًا. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركمْ عنِ النفرِ الثلاثة؟ أما أحدهم فَأَوَى إلى اللَّه، فآواهُ اللهُ وأمَّا الآخر فاستحيَا، فاستحيَا اللهُ منهُ، وأمَّا الآخر فأعرضَ، فأعرَض الله عنهُ**».

والكرامات التي حدثت لأصحاب رسول الله ﷺ إنما حدثت باتباعهم له وصحبتهم له وجلوسهم معه فهذا خالدٌ - رضي الله عنه - شرب السُّمَّ ولم يضره:

أخرج الإمام أحمد في فضائل الصحابة بسندٍ صحيح[٢] عن قيس قال: أُتي خالدٌ بسمٍّ فقال ما هذا؟ قال: سمٌّ، فشربه.

وهذا عمرانُ بن حصين - رضي الله عنه - كانت الملائكة تُسلم عليه:

أخرج مسلمٌ[٣] من طريق مطرِّف قال:

«بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي تُوفِّي فيه، فقال إني كنت محدثك بأحاديث، لعل الله أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكتم عني،

---

(١) البخاري (حديث ٦٦) ومسلم (حديث ٢١٧٦).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد (١٤٨٢).

(٣) قال النووي رحمه الله (في شرح مسلم): ومعنىٰ الحديث أن عمران بن حصين رضي الله عنه كانت به بواسير فكان يصبر علىٰ المهمات وكانت الملائكة تسلم عليه فاكتوىٰ فانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه.

وإن مت فحدث بها إن شئت إنه قد سُلِّم علي[١]» .

وهذا أسيد بن حضير، وعباد بن بشر تضيء لهما العصا لما خرجا من عند رسول الله ﷺ: فعند الإمام أحمد[٢] بإسنادٍ صحيح عن أنس أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حِنْدس قال: فلما خرجا من عنده أضاءت عصا أحدهما فكانا يمشيان في ضوئها فلما تفرقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا.

وقد ورد الحديث عند البخاري[٣] لكن بدون تصريح باسم الصحابيين، وذلك من طريق أنس - رضي الله عنه - أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما.

وحتى إن الشخص ليحرص بعد موته على الدفن بجوار الصالحين وبأرض الصالحين:

فقد سأل موسى عليه السلام ربَّه أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر[٤] (عندما حضرته الوفاة).

---

(١) يعني أن الملائكة سلمت عليه، ومراده بقوله (إن عشت فاكتم عني، وإن مت فحدث بها إن شئت) أي لا تخبر أحداً في حياتي أنني أخبرتك أن الملائكة تسلم علي، وذلك - والله أعلم - خشية الفتنة بإشاعة هذا الأمر بين الناس.
وفي لفظ آخر عند مسلم: وقد كان يُسلَّم عليَّ حتى اكتويت فتُركت ثم تركت الكَّي فعاد.

(٢) أحمد (٣/ ١٩٠).

(٣) البخاري (حديث ٣٨٠٥).

(٤) أخرج مسلم (ص١٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ. فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ «جاء ملك الموت إلى موسى - عليه السلام -. فقال له: أجب ربك. قال: فلطم موسى=

وأرسل أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - إلىٰ عائشة رضي الله عنها مستأذنًا أن يُدفن بجوار صاحبيه رسول الله ﷺ وأبي بكر - رضي الله عنه[1].

فكم من سلام يسلمه المسلمون الآن علىٰ عمر - رضي الله تعالىٰ عنه - فكثيرٌ ممن ذهب إلىٰ المدينة وزار مسجد رسول الله ﷺ يسلم علىٰ رسول الله ثم يسلم علىٰ أبي بكر وعمر - رضي الله تعالىٰ عنهما - .

= عليه السلام عين ملك الموت ففقأها. قال: فرجع الملك إلىٰ الله تعالىٰ فقال: إنك أرسلتني إلىٰ عبد لك لا يريد الموت. وقد فقأ عيني. قال فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إلىٰ عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك علىٰ متن ثور، فما توارت يدك من شعرة. فإنك تعيش بها سنة. قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب. رب أمتني من الأرض المقدسة رميةً بحجر. قال رسول الله ﷺ: «والله! لو أني عنده لأريتكم قبره إلىٰ جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر».

وقد روي هذا الحديث موقوفًا عند البخاري (١٣٣٩)، (٣٤٠٧) وهو أيضًا مرفوع عند البخاري عقب (حديث ٣٤٠٧).

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٧٠٠) من طريق عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة . . . فذكر قصة مقتل عمر وفيها أن عمر قال لولده عبد الله بن عمر بعد أن طعن عُمر: انطلق إلىٰ عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا وقل: يستأذن عمر ابن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أُريدُهُ لنفسي، ولأوثرنَّه به اليوم علىٰ نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبدُ الله بنُ عمر قد جاء قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تُحب يا أمير المؤمنين أذنت قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنتْ لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلىٰ مقابر المسلمين.

وهؤلاء جلساء أيضًا

فاختر منهم وكن منهم على حذر

الزوجة.

الجار.

صاحب السَّفر.

والكتاب جليس.

والمجلات أيضًا.

والزوج ـ وكذا الزوجة ـ كلاهما جليس فاحرص على صلاح ذلك الجليس:

وقد قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤].

ففرقٌ بين زوج يُذكِّر زوجته بالله ـ عزَّ وجل ـ ويعينها علىٰ إقامة حدوده ويوقظها للصلاة ويحثها علىٰ النفل بعد الفرض كما هو صنيع نبيه محمد ﷺ فقد استيقظ ذات ليلة فقال «سُبحانَ الله ماذَا أنزلَ الليلةَ منَ الفتنِ وماذَا فُتحَ منَ الخزائنِ؟ أيقظوا صواحِبَ الحُجرِ فربَّ كاسيةٍ في الدنيَا عاريةٌ في الآخرةِ»[1].

وكذا يحظىٰ بفضيلة حديث رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليلِ يصلِّي وأيقَظَ امرأتهُ فصلتْ فإنْ أبتْ نضحَ في وجهِهَا الماءَ، ورحمِ اللهُ

---

(١) البخاري (حديث١١٥).

امرأةً قـامتْ من الليلِ فـصلَّتْ وأيقظتْ زوجهَـا فإنْ أبى نضـحتْ في وجْـهه الماءَ»(١).

فرقٌ بين هذا الذي يأمر أهله بالصلاة وبين آخر ينهى عبداً إذا صلى.

فرقٌ بين زوجـة صالحـة تحث زوجها على الصـدقة وترغـبه فيـها، وتذكـره بصلة الأرحـام وبر الوالدين، وزوجـة تحـمل زوجـهـا على الشحِّ وتأمره بالبخل وتتسبب في قطع الرحم وعقوق الوالدين.

فـرقٌ بين زوجة تعـرف ربهـا وترضى بقضـائه وقـدره وتصبـر في البأساء والضراء:

وزوجـة جـاهلةٍ بـالله تتـسـخط على الأقـدار وتجـحـد المعـروف وتـنكر الإحسان، إن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام أمر إسماعيل عليه السلام أن يغيِّر عتبة بابه، وذلك بمفارقة امرأة ليست بقانتة وليست بشاكرةٍ لأنعُم الله عزَّ وجل عليها.

ففي «الصحيح»(٢) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «أول ما اتخذ النساء المنْطَق من قبل أم إسماعيل اتخذت مِنْطَقًا لتعفى أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحدٌ، وليس بها ماءٌ فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمرٌ وسقاءً فيه ماءٌ، ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟! فقالت له ذلك مراراً،

---

(١) أحمد بإسناد حسن (المسند ٢ / ٢٥٠).

(٢) البخاري (حديث ٣٣٦٤).

وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت».

فذكر الحديث وفيه: «فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة. فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهدٍ وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك. فطلقها، وتزوج منهم أخرىٰ. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل علىٰ امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت علىٰ الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي ﷺ: «**ولمْ يكنْ لهم يومئذ حبٌّ، ولوْ كَانَ لهُمْ دعَا لهُمْ فيه، قال: فهمَا لا يخلُوا عليهمَا أحَدٌ بِغير مَكَّة إلا لمْ يُوافقاه**». قال: «فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يُثْبِتُ عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك

بشيء؟ قالـت: نعم، هو يقرأ عليك السـلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك».

إن الزواج من امرأةٍ صالحة أمرٌ محمود العواقب:

وزواج المرأة برجل صالحٍ أمرٌ محمود العاقبة كذلك إن شـاء الله، ففضلاً عـما في ذلك من امتثالٍ للنصوص الآمرة باختيـار ذي الدين وذات الدين كقول النبي ﷺ «فاظفرْ بذاتِ الدينِ تربتْ يداكَ»[1] وغير ذلك من النصوص كقول النبي ﷺ «الدنيا متاعٌ وخيرُ متاعِ الدنيَا المرأةُ الصالحةُ»[2].

فضـلاً عن ذلك فالزوجة الصالحة تُعين على أمر الدين، وتُذكر صحبتها برب العالمين.

والزوجة الصالحة تخلفك في مالك وولدك بخير.

والزوجة الصالحة لا تُلحق بك من ليس لك بولدٍ.

والزوجة الصالحة تسمع وتطيع أولاً لله رب العالمين ولرسوله الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، ثم هي مطيعة لزوجها ما دام يأمر بمعروفٍ.

أما الزوجة السيئة فتذكر بكل شرٍ وتحث على كل منكر:

فليست بمطيعة لله ولا لرسوله ﷺ، وليست بمُذكرةٍ ببرٍ وإحسان وصلة وصدقة وعفـاف، وليست حـافظة لفرجهـا ولا مُحسنة إلى أبنـائها فمن ثمَّ فـهي جليس سيئ يحرق ثيـابك أو تجد منه ريحًا خبيثة، كمـا قد ذكر

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٩٠) ومسلم (حديث ١٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (٣/ ٦٥٦).

رسول الله ﷺ في شأن جليس السوء(١).

إن الزوجة السيئة تخونك مع صديقك، وتخونك في مالك وتزهدك في الصلوات المكتوبات وفي الجمع والجماعات.

وتبخّلك إذ أردت الصدقة وتُجبّنك إذا أردت الجهاد وتخوّفك إذا أردت أن تتكلم بكلمات الحق وتشهد شهادات الحق وتكفر العشير وتجحد الإحسان.

هذا فضلاً عما يقتبسه الزوج من أخلاقها.

وقد ذكر العلماء من مثالب الزواج بالزانية أموراً نُذكّر بها لعل مدِّكرًا أن يدكر، ومعتبراً أن يعتبر، فمن ذلك ما يلي(٢):

أولاً: ارتكاب المحرم بالتزويج بها لقوله تعالىٰ:

﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣].

ثانيًا: إلحاق من ليسوا بأولادك بك، فهي تزني وتحمل من رجالٍ آخرين وينسب الأولاد إليك فيكبروا ويرثوا منك وليسوا لك بورثة، ويطلعوا علىٰ محارمك وليسوا لك بمحارم.

ثالثًا: زهد الزانية في زوجها فهي امرأة فاجرة مجربةٌ للرجال في كل وقت وحين إذا أغضبها زوجها خرجت وزنت بغيره واستعلت عليه ونشزت، بل وسلطت عليه الأشرار والفجار من عشّاقها.

---

(١) وقد تقدم الحديث بذلك.

(٢) وقد ذكرنا ذلك أيضاً في كتابنا تفسير سورة النور.

رابعًا: الزانية تجر زوجها إلىٰ فعل المحرم، فلزهدها فيه ولهجرانها لفراشه يتجه هو الآخر لإنفاذ شهوته في امرأةٍ غيرها في الحرام وكذلك الرجل الزاني لا يعف زوجته العفيفة لاستغنائه عنها بغيرها فقد تفكر هي الأخرىٰ في الرجال.

خامسًا: الزانية تجر إلىٰ بيت زوجها صديقات السوء من أمثالها مما يوقع الزوج هو الآخر بالزنا معهن، والزانية تحرص علىٰ ذلك حتىٰ لا يعيرها زوجها بالزنا، فإذا زنىٰ زوجها عيرته كما يعيرها، وقد قال الله تعالىٰ في شأن الكفار: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩] وقال سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

سادسًا: الزانية تُفقد زوجها الغيرة شيئًا فشيئًا وتوقع زوجها في الدّياثة، والجنة لا يدخلها ديوث.

سابعًا: الزانية تعلم أولادها وبناتها الزنا وتسهله عليهم وتقربه إليهم فتخرج ذرية فاسدة تربت في بيت فسقٍ ودعارة فتتفتت الأسرة وينزل عذاب الله عز وجل علىٰ العصاة.

ثامنًا: الزانية تعلم زوجها الزنا بما تقصه عليه من أخبار النساء وأخبار الرجال، والنفس أمارة بالسوء، والمرء علىٰ دين خليله.

تاسعًا: انتشار الأوبئة والأمراض في البيت، وهذه عقوبة عاجلة من الله سبحانه وتعالىٰ في الدنيا، ومن أخطر أمراض العصر الحديث: «مرض الإيدز» ومن أعظم أسبابه الزنا والعياذ بالله.

عاشراً: العذاب الأخروي الذي تجلبه الزانية لزوجها، فالرجل مسئول

عن رعيته أمام الله سبحانه وتعالىٰ كما قال عليه الصلاة والسلام: «كلكمْ راع وكلكمْ مسئولٌ عن رعيته»[١]، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقد قال الله جل ذكره: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] وهي - وإن لم تكن كافرة - فهي مرتكبة للكبائر والجرائم ومقترفة للفواحش، والأزواج في الآية الكريمة المراد بهم الأمثال والأشباه في المعتقد والعمل.

حادي عشر: إسقاط هيبة الزوج أمام الناس، فالمسلمون إذا علموا من حال رجل الدياثة أسقطوه من أنظارهم وتركوا مصاهرته ومجالسته، فلا يجالسه ولا يصاهره إلا الفساق من أمثاله.

ثاني عشر: تعيير الزوج، وتُعيَّر أسرته وعشيرته وأقاربه بالزواج من الزانية.

إن أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - كان لها أثرٌ كبير على رسول الله ﷺ:

في بداية دعوته وبداية بعثته فانظر إلىٰ كلماتها الطيبة لرسول الله ﷺ:

«كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكلَّ وتُكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين علىٰ نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل». الحديث[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠).

ومن ثمَّ فقد حفظ لها رسولنا محمد ﷺ معروفها وشكر لها صنيعها .

أخرج مسلم[١] في «صحيحه» من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : **«أرسلوا بها أصدقاء خديجة»** قالت : فأغضبته يومًا فقلت : خديجة ! فقال رسول الله ﷺ : **«إني قد رزقت حبها»** .

وفي لفظ آخر عند مسلم[٢] :

عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال : **« اللهمَّ هالةُ بنت خويلد»** فغرت فقلت : وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرًا منها؟

بل الله عز وجل شكر لها صنيعها .

وعند النسائي[٣] بسندٍ حسن عن أنس قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال : إن الله يقرئ خديجة السلام فقالت : إن الله هو السلام ، وعلى جبريل السلام ، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

وها هي أم سليم ـ رضي الله عنها ـ ، وهذا أثرها وأثر صنيعها مع أبي طلحة ، فعند النسائي[٤] بسندٍ صحيح من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : خطب أبو طلحة أم سليم فقالت : والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد

---

(١) مسلم (ص١٨٨٨) .
(٢) مسلم (٢٤٣٧) .
(٣) النسائي (في فضائل الصحابة ٢٥٤) .
(٤) النسائي (٦ / ١١٤) .

ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحلُّ لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها. قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أمِّ سليم الإسلام. فدخل بها فولدت له.

وفي لفظ عند ابن سعدٍ في «الطبقات»[1] بسند صحيح أيضًا عن أنس قال: جاء أبو طلحة يخطب أم سليم فقالت: إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار، وإنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت؟ قال: فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا قال: وجعل لا يجيئها يومًا إلا قالت له ذلك قال: فأتاها يومًا فقال: الذي عرضت عليَّ قد قبلت قال: فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة.

وهذا شيءٌ من سلوكها مع زوجها بعد الزواج:

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقُبض الصبيُّ فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أمُّ سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت: وار الصبي، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: **«أعرستُم الليلةَ؟»** قال: نعم قال: **«اللهمّ باركْ لهما في ليلتهما»** فولدت غلامًا قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ: فأتى به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبيُّ ﷺ فقال: **«أمعهُ شيءٌ؟»** قالوا: نعم تَمَرَاتٌ فأخذها النبيُّ ﷺ فمضغها ثم أخَذَ من فِيهِ فجعلها في فيِّ الصبي وحنَّكه به وسماه عبد الله.

---

(١) الطبقات (٨/ ٣١٢).

(٢) البخاري (حديث ٥٤٧٠) ومسلم (حديث ٢١٤٤).

وتلك أم الدحداح: لم تُبخِّل زوجها، بل باركت له عمله وأثنت على صنيعه وبشّرته، فعند عبد بن حميد في «المنتخب»(١) بإسناد صحيح عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لفلان نخلة وإنما أقيم حائطي(٢) بها فأمره أن يعطيني إياها حتىٰ أقيم حائطي بها. فقال له النبي ﷺ: «**أعطهَا إياهُ بنخلة في الجنة**» فأبىٰ فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي قال: ففعل قال: فأتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له وقد أعطيتكها فقال رسول الله ﷺ: «**كمْ مِن عذق رواحٍ لأبي الدَّحداحِ في الجنة**» قالها مراراً. قال: فأتىٰ امرأته فقال: يا أم الدحداح أخرجي من الحائط مالي قد بعته بنخلة في الجنة فقالت: ربح البيع ـ أو كلمة تشبهها.

إن الزوجة التي ترىٰ زوجها يقوم من الليل يصلي ويدعو ربه عزَّ وجل ويرجوه ويخشاه، تتأثر في الغالب بصنيعه، فالذكرىٰ تنفع المؤمنين.

وكذا التي ترىٰ زوجها صائماً وصولاً للرحم كريمًا رحيمًا رفيقًا تتأثر بلا شك أنها بأخلاقه الحميدة.

أما الزوجة التي ترىٰ زوجها يترك الصلاة ويشرب المسكرات ويُدخن فلا شك تتأثر بصنيعه هي الأخرىٰ. إلا من رحمها الله عزَّ وجل وعصمها.

والأجير جليسٌ أيضًا فاحرص على أجيرٍ قويٍ أمين:

قالت المرأة الصالحة لأبيها الصالح في شأن موسىٰ عليه السلام: ﴿**يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ [القصص: ٢٦].

فينبغي أن يكون الأجيرُ أمينًا ـ فضلاً عن قوته ـ وخاصة ذلكم الأجير الذي

---

(١) «المنتخب» بتحقيقي (١٣٣٢).

(٢) حائطي: بستاني أو حديقتي.

يعمل عملاً في بيتك، فإذا كان صالحًا فستجد منه خيراً في بيتك وأهلك، فلن تراه يتلصص ليرىٰ العورات، ولن تراه يحتال للسرقات، ولن تراه يفشي الزلات وينشر العثرات.

أما إذا كان أجيراً سيئًا خائنًا فسترىٰ منه موبقات.

فسيخلفك في أهلك بشرٍّ، وفي مالك بنصب واحتيال.

وها هو أجيرٌ (عسيف) في خير القرون يقع علىٰ امرأة صاحب العمل فيُجلد، وتُرجم، وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد - رضي الله عنهما - قال كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال: أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله فقام خصمه وكان أفقه منه فقال: اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي قال: «قلْ»، قال: إن ابني هذا كان عسيفًا علىٰ هذا، فزنىٰ بامرأته، فافتديت منه بمائة شاةٍ وخادم، ثم سألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أن علىٰ ابني جلد مائة وتغريب عام، وعلىٰ امرأته الرجم، فقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتابَ الله جلَّ ذكرهُ، المائةُ شاة والخادمُ ردٌّ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريبُ عام، واغدُ يا أنيسُ على امرأةَ هذا، فإنِ اعترفتْ فارجمْها، فغَدا عليْهَا فاعترفتْ فرَجَمَهَا»**.

وإن كان استئجار الكافر جائزاً في بعض الأعمال والأحيان إذا أُمنت من ورائه الغوائل، فقد استأجر النبي ﷺ في رحلة هجرته رجلاً من بني عبد الدّيل هادياً خِرِّيتًا (عالما بالطرق) ففي «الصحيح»[2] من حديث عائشة

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٢٧، ٦٨٢٨) ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨).

(٢) البخاري (حديث ٣٩٠٥)وقد أورد البخاري هذا الحديث أيضًا (٢٢٦٣). وبوَّب له هناك بباب استئجار المشركين عند الضرورة، أو إذا لم يوجد أهل الإسلام.

رضي الله عنهـا ـ قـالت : لم أعـقل أبـواي قط إلا وهمـا يدينان الدين . . . فـذكرت الحديث وفـيه : « واستـأجـر رسـول الله ﷺ وأبو بكر رجـلا من بني الدِّيل ، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خريتًا ـ والخرِّيتُ الماهرُ بالهداية ـ قد غـمس حلفًا في آل العاص بن وائل السـهميّ ، وهو علىٰ دين كفار قريش ، فأمناه ، فـدفعا إليه راحلتيهمـا ، وواعداه غار ثورٍ بعد ثلاث ليال براحلتيهـما صبح ثلاث ، وانطلق معـهمـا عـامر بن فـهيرة والدليل ، فـأخذ بهم طريق السواحل » .

وكـذا لا تؤاجـر نفسك إلا مـن رجلٍ صالح يـعينك علىٰ إقامـة حـدود الله ويصرفك عن معصية الله بإذن الله ، أما إذا كان صاحب العمل سيئًا ، فإنه سيشغلك عن الطاعـات ويمنعك من أداء ما أوجبه الله عليك ويحول بينك وبين الجمع والجماعات .

وقد بوب البخاري في « صحيحه »[١] في كتاب « الإجارة » بباب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب ، وأورد حديث خباب ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت رجلا قينًا[٢] ، فعملت للعاص بن وائل ، فاجتمع لي عنده ، فـأتيته أتقـاضـاه فقـال : لا والله لا أقـضيك حتىٰ تكفر بمحمد . فقلت : أما والله حتىٰ تموت ثم تبعث فلا . قال : وإني لميتٌ ثم مبعوثٌ؟ قلت : نعم .

---

(١) البخاري (حديث ٢٢٧٥) وقال الحافظ ابن حجر هناك في شرحه : قال المهلب : كره أهل العلم ذلك إلا لضرورة بشرطين : أحدهما أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله ، والآخر أن لا يعينه على ما يعود ضرره علىٰ المسلمين . وقال ابن المنير : استقرت المذاهب علىٰ أن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة ولا يعد ذلك من الذلة ، بخلاف أن يخدمه في منزله وبطريق التبعية له والله أعلم .

(٢) قينًا : أي حدادًا .

قال: فإنه سيكون لي ثم مالٌ وولدٌ، فأقضيك. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾ [مريم: ٧٧].

وكذلك فالجار جليسٌ: فاحرص علىٰ اختيار الجار الصالح فهو جارٌ مُذَكِّرٌ بحدود الله وأوامره ونواهيه وناصح أمين، وناهٍ عن المنكر وآمرٍ بالمعروف، وسببٌ في الحفاظ علىٰ أهلك في غيابك بل وفي حضورك كذلك.

تسمع منه الخير، يشع من بيته النور، تسمع آيات الله تتلىٰ من بيته، يوقظك للصلوات، يذكرك بصيام النفل بعد الفرض، يُذكرك بعيادة المرضىٰ، يعينك علىٰ المعروف والإحسان.

أما الجار السيِّء فعلىٰ النقيض من ذلك، تسمع منه الشر، يفجؤك بالخيانات، لا تأمن منه البوائق يخلفك في أهلك بسوء ومكروه.

يدل علىٰ عوراتك ويتتبعها؛ يحسدك علىٰ ما منَّ الله به عليك وأنعم.

فقبل أن تشتري داراً أو تسكنها سل عن جيرانك من هم، وما هم؟ فأولادك يتأثرون بأولادهم وبناتك يتأثرون ببناتهم، والمحفوظ من حفظه الله تعالىٰ والمعصوم من عصم.

وكذلك فاحرص على اختيار صاحب صالحٍ لك في السفر:

يعينك علىٰ الخير ويشد عضدك فيه.

وقبل أن تركب سيارة انظر إلىٰ سائقها ـ إذا كان ذلك بوسعك واختيارك ـ فإذا كان رجلاً صالحًا فتوكل علىٰ الله واركب معه ولا تكن مع العصاة الخائنين.

إن السائق الصالح يُسمعك كل خير، ويذكرك بكل معروف.

تسمع من سيارته قرآنًا يتلىٰ، وذكراً، وطيبًا من الكلم والقول، فمن ثمَّ

تصحبكم الملائكة في سفركم.

ويحفظكم ربكم ويرحمكم، وهو خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

أما السائق السيئ: فسرعان ما تسمع منه سبَّ الدين والشتم والبذاءات واللعن والتسخطات.

وترىٰ عبوسًا في الوجه وقمطريرًا في الجبين.

ثم تسمع الموسيقىٰ الصاخبة، والأجراس المزعجة التي تنفر الملائكة إذ الملائكة لا تصحب رفقة فيها جرس[1].

فإذا تركت الملائكة صُحبتكم، صحبتكم الشياطين فتؤزكم إلىٰ المعاصي أزًّا، وتدفعكم إليها دفعًا وتسوقكم إليها سوقًا.

وقد علمنا أن المصائب كثيرٌ منها يحل ويقع، وكذا الحوادث والابتلاءات تقع بسبب المعاصي والتمرد علىٰ أمر الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

فقد تقع في مصيبة بسبب هذه المعاصي وتلك الشياطين التي تحيط بكم فكم من مصيبة حدثت بسبب ذلك، وكم من بلية حلَّت بسبب ذلك وفضلاً عن ذلك فإن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً.

والكتاب جليسٌ:

فاحرص علىٰ اقتناء كتاب طيب يحمل مادة طيبة، تُذَكَّر فيها بكتاب الله عَزَّ وجل ـ أو بسنة رسوله ﷺ أو بسيرة صالح من الصالحين، أو تتعلم منه مسألة تنفعك في دينك أو دنياك.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢١١٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا.

فَثَمَّ كتب تُزكي في نفسك أعمال الخير والبر والمعروف وتبين لك عاقبة الإحسان والمحسنين، وتحملك علىٰ كظم الغيظ والعفو عن الناس وتُجمِّلك بمكارم الأخلاق وحَسَن الصفات، ففرق بين هذه الكتب وبين كتب السحر والكهانة والشعوذة وكذا كتب الفسق التي تحكي عن العشق والغراميات وتُزين الفحش والفواحش، وتحمل علىٰ الرذيلة والمنكر.

وكذا كتب الأساطير التي لا فائدة فيها إلا ضياع الوقت والجهد والدين.

وكتب الفلاسفة التي لا يُجنىٰ من ورائها إلا القيل والقال بل والزندقة والكفر.

وابن عباس - رضي الله عنهما - ينهى عن القراءة في كتب هي أفضل بكثير من تلك الكتب التي حذرنا منها:

ففي «الصحيح»[1] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -:

قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل علىٰ نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يُشَبْ؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: ﴿**هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ [البقرة: ٧٩] أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطُّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم».

هذا، وقد تكلَّم الشيخ محمد رشيد رضا[2] في تفسيره «المنار» علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٥).

(٢) ولمحمد رشيد رضا أقوال في أبواب دلائل النبوة لا يحمد عليها أبداً، وكذا فلشيخه محمد بن عبده كلام فيه شطط كبير جداً انظر لذلك إن شئت كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» لمؤلفه الشيخ ناصر العقل فهو كتابٌ نافع ومفيد.

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] فقال: والسوء من القول ما يسوء من يقال فيه، كذكر عيوبه ومساويه، والله تعالىٰ لا يحب من عباده أن يجهروا بما بينهم بذكر العيوب والسيئات؛ لأن في هذا الجهر مفسدتين كبيرتين:

إحداهما: أنه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهرون بالسوء ومن ينسب إليهم هذا السوء، وقد تفضي العداوة إلىٰ هضم الحقوق وسفك الدماء.

الثانية: أن الجهر بالسوء بذكره علىٰ مسامع الناس يؤثر في نفوس السامعين تأثيراً ضاراً فإن الناس يقتدي بعضهم ببعض فمن سمع إنساناً يذكر آخر بالسوء لكرهه إياه أو استيائه منه يقلده في ذلك القول إذا كان لم يسبق له مثله، ويزداد ضراوة فيه إذا كان قد سبق وقوعه منه، أو يقلد فاعل السوء في عمله، خصوصاً إذا كان السامع من الأحداث الذين يغلب عليهم التقليد أو من طبقة دون طبقته في الهيئة الاجتماعية؛ لأن عامة الناس يقلدون خواصهم، فإذا ظهرت المنكرات في الخواص لا تلبث أن تفشو في العوام.

ومن تميل نفسه إلىٰ منكر أو فاحشة يتجرأ علىٰ ارتكابه إذا علم أن له سلفاً وقدوة فيه، وربما لا يتجرأ عليه إذا لم يعلم بذلك. بل يؤثر سماع القول السوء في نفوس خواص الكهول الأخيار، وليس تأثيره مقصوراً علىٰ العوام والصغار، فسماع السوء كعمل السوء، ذاك يؤثر في نفس السامع، وهذا يؤثر في نفس الناظر، وأقل تأثيره أنه يضعف في النفس استبشاعه واستغرابه ولا سيما إذا تكرر سماع خبره أو النظر إليه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:

«ومن شأن الجسد إذا كان جائعًا فأخذ من طعام حاجته استغنىٰ عن طعام آخر، حتىٰ لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة، وتجشم، وربما ضره أكله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلىٰ المشروع، فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه، ويكمل إسلامه.

ولذا تجد مَن أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتىٰ ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلىٰ زيارات المشاهد ونحوها لا يبقىٰ لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن علىٰ أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقىٰ لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقىٰ لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير». اهـ.

فجدير بالمسلم أن يتقي الله في وقته وفي جليسه، وأن يختار لنفسه ما اختاره الله له من كتاب وسنة وحكمة.

فكل حرف يُقرأ من كتاب الله يثاب عليه قارئه، بل ولك نظر للتدبر والتفكر فيه يثاب عليه صاحبه.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأَ حرفًا مِنْ كتابِ اللهِ فلهُ بِهِ حَسَنَةٌ والحَسَنَةُ

بعشر أمثالها ولا أقولُ (آلم) حرْفٌ ولكنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرف وميمٌ حرفٌ»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «يُقال لصاحب القرآن يومَ القيامة: اقرأْ وارتقِ ورتِّلْ كما كنتَ ترتل في الدنيا فإنَّ منزلتكَ عندَ آخر آية تقرؤها»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩].

والآيات والأحاديث في هذا الصدد كثيرة جداً.

وقال رسول الله ﷺ: «نضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ مقالتي فوعاها ثُمَّ أدَّاها كما سمعها»(٣).

فالله الله في الكتاب الذي تختار وفي المادة التي تقرأ!.

وكذا فاحذر المجلات الخليعة القبيحة التي تنشر الصور العارية الفاضحة فإن الشيطان يستزل العباد من وراء ذلك: ثم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً.

قلنا: إن الشيطان يستزل العباد بسبب معاصٍ صدرت منهم من قبل؛ قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وذلك - والله أعلم - أن أهل الإيمان منهم فريق - وهم الرماة - أنزلهم الرسول ﷺ منازل للقتال يوم أحد وأمرهم بعدم فراقها، فلما نصر الله أهل

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٨/ ٢٢٦) بسندٍ حسن.

(٢) أبو داود (٢/ ١٥٣) والترمذي (٨/ ١٣٢).

(٣) صحيح متواتر.

الباطل صبيحة يوم أُحد، وأقبل المسلمون علىٰ الغنائم خالف بعض الرماة أمر نبيهم ونزلوا يشاركون المغنم، فاستدار عليهم عدوهم فلما أفاقوا مما هم فيه وبرزوا ثانيةً للقاء عدوهم استزلهم الشيطان حينئذ فوسوس لهم كيف تواجهون عدوا وأنتم عصاة؟! كيف تقتلون وأنتم قد عصيتم أمر نبيكم؟! ارجعوا حتىٰ تتوبوا من تلك المعصية وذلك الذنب فحملهم علىٰ التولي والفرار، إذ قالوا في أنفسهم: كيف نقتل ونحن عصاة؟!

ووجه آخر: أن الشيطان ذكَّر فريقًا من المؤمنين يوم أُحدٍ ببعض كسبهم السابق، وبعض معاصيهم السالفة أثناء القتال ثم وسوس لهم كيف تقتلون وأنتم عصاة فحملهم من ثم علىٰ التولي والفرار.

وهكذا يستزل الشيطانُ العباد فالذي ينظر في مجلة فاضحة وينظر إلىٰ صورة عارية يستزله الشيطان بعد ذلك بسبب نظره هذا فيشوش الشيطان عليه بها فكره في صلاته ويذكره بها ويحسنها له، فيصرفه عن الخشوع ويصرفه عن التدبر ويصرفه عن التفكر، وعن الدعاء وعن الرجاء، وعن الرغبة، وعن الرهبة.

إن نبينا محمداً ﷺ، وهو خير مُعلم وخير هادٍ قد صلىٰ صلاةً في ثوبٍ له أعلام فُشغل بعض الشيء في صلاته.

أخرج البخاري[1] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ صلىٰ في خميصة لها أعلام فنظر إلىٰ أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: «**اذهبُوا بخميصتي هذهِ إلى أبي جهمٍ وائتوني بـأنبجانيةِ أبي جهمٍ، فإنها ألهتني آنفًا عنْ صلاتِي**». وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: قال النبي ﷺ:

(١) البخاري (حديث ٣٧٣).

«**كنتُ أنظُرُ إلى علمِها وأنا في الصلاةِ فأخافُ أن تفتنني**».

وعند البخاري[1] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه قال:

«كانَ قِرامٌ لعائشةَ سترتْ بِه جَانِبَ بيتِهَا، فقال النبي ﷺ: «**أَمِيطِي عنَّا قرامكِ هذَا، فإنهُ لا تزالُ تصاويرهُ تعرضُ في صَلاتِي**».

وكذلك فإن الشيطان يشوش بها عليه فكره في خُلوته بما يحمله على معصية الله من الاستمناء القبيح الذي يفعله شرارُ الشباب والفتيات ويشوش بها عليه فكره مع النساء بما قد يحمله على الزنا والفواحش وكذا النظر إلى الصور القبيحة الفاتنة المثيرة في التلفزيونات والشاشات المرئية عمومًا، كلها تلوث القلب وتشوش على الذهن والفكر، وتحمل على الرذيلة والفساد، وتنشر الشرور والجرائم وتتسبب في اقتراف الآثام والموبقات.

وكما قدمنا فكما قال ربنا: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦] وقد نهى النبي ﷺ عن النظر إلى الحرام في جملة من الأحاديث، فصلوات ربي وسلامه عليه.

فهذه من سلبيات هذا الجهازِ المدمر للقيم والأخلاق، المذهبِ للحياء والوقار، ومن سلبياته أيضًا: تعليم العدوان والإجرام فالأفلام المنشورة والمسلسلات المبثوثة، والمسرحيات كل ذلك يُعلم الإجرام والعدوان، وكيف أن اللصَّ سرق، وكيف أن القاتل قتل، والمغتصب كيف اغتصب، والعاشق كيف وصل إلى معشوقته وكيف خدعها وأفسدها والمرأة الغويّة كيف أغوت رجالاً، كل ذلك يتعلم من هذه الأجهزة التي تبث الفساد في

---

(١) البخاري (حديث ٣٧٤).

الأرض بل وتروج له وتدعو إليه .

ومن ذلك أيضًا ما يقتبس من عادات وتقاليد وقيم وأخلاق تبث من خلال هذا الجهاز لا تمت هذه العادات ولا تلك التقاليد لقيم الإسلام وتعاليمه بصلة .

فأصبح من غير المستغرب عند الناس أن يروا امرأة متبرجة غاية التبرج ترقص ويحتضنها رجل، ونادراً إذا وجدت من ينكر مثل هذا الأمر الذي أصبح مألوفًا مشاهداً كل يوم، بل كل ساعة .

فأين هؤلاء من قول الله تعالىٰ : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

وأين هؤلاء من قوله تعالىٰ : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] .

وأين هم من قول رسول الله ﷺ : «**العينُ تزني وزناهَا النظَر**» .

ومن سلبياته أيضًا تنغيصه للحياة الزوجية، فيرىٰ الزوج المطلع علىٰ هذا الجهاز صوراً للنساء في غاية من التصنع والتجمل للرجال والمشاهدين، فيظن النسوة كلهن كذلك ويزدري زوجته ويزهد فيها .

وهي الأخرىٰ ترىٰ رجالاً في صورةٍ قد تصنعوا فيها لمشاهدة الناس لهم، فيبرزون للناس في صورة حسنة يفتنون بها النساء ويخدعون بها الفتيات، فترىٰ المرأة العفيفة الطاهرة تترك تعففها وطهارتها وتعشق رجلاً من أمثال هؤلاء الفساق المفسدين في الأرض .

ومن سلبياته أيضًا أن برامجه تبث ليلاً طويلاً فيترك الشخص معها صلاة

الفجر، وتلاوة القرآن وأذكار الثلث الأخير من الليل وأدعيته والاستغفار فيه.

فضلاً عن استماع المعازف وشغل البال وضعف النظر والأعصاب، وغير ذلك من الأمور التي لا تحمد عواقبها لا في دين ولا في دنيا.

فأين أهله من قوله تعالىٰ في شأن أهل الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]؟!

ومن سلبياته أيضًا نشر الأفكار المخالفة لتعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه، فيروج للاختلاط المحرم، وينادي بالتسوية بين الرجل والمرأة في الميراث ويُذكر برفع سن الزواج للفتيات والفتيان، فاللهَ اللهَ يا أهل الإسلام في أنفسكم وأولادكم وأهاليكم وعموم المسلمين.

كل هذا فضلاً عن اللغو الذي يسمع في تلك الأجهزة، والباطل الذي يُبث من خلالها، والكذب والإضلال والغش والخداع وتعلم القبيح والمنكر.

فجدير بالمرء المسلم الغيور علىٰ دينه وعلىٰ عرضه وحريمه أن يتقي الله في مجالسه تلك التي يجلس وفي مشاهده التي يُشاهد.

فكم من منكر قد ارتكب بسبب النظر إلىٰ هذه المناظر القبيحة وكم من عرضٍ قد دُنس، بل وكم من رجل قد اعتدىٰ علىٰ أخته وجارته وزميلته، وارتكب معها الكبيرة المُردية المهلكة كبيرة الزنا بسبب تلك المناظر والمشاهد.

هذا فضلاً عن الكذب الذي يبث والمعلومات المشوهة التي تنشر عن أهل العلم والفضل والصلاح فتنزلهم منزلة المجرمين، وهم من أتقىٰ الناس، وتصف العفيف المتعفف بأنه جاهل متخلف، فيرىٰ الناس المنكر معروفًا والمعروف منكرًا.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تأثير الجليس	٩
من صور تأثر الجليس بجليسه	١٤
النهي عن مجالسة أهل الشر والفساد	٢٢
قصة كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن الغزو	٣١
آثار مجالسة الأشرار ومخاطر ذلك	٤١
وهذه مجالس نحس مستمر	٤٤
ومن صاحب أهل الشر والفساد ناله كفل من عقوبتهم	٥٧
هل العزلة أفضل أم الاختلاط بالناس؟	٧٦
أمر الله عز وجل بمجالسة الصالحين	٧٩
الآثار الطيبة لمجالسة الصالحين	٨٤
المرء مع من أحب	٨٥
وهؤلاء جلساء أيضًا	١١١
فهرست الموضوعات	١٣٢



القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراح خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣ / فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤